

كثبان المسك

فضل يوم الجمعة

وبرنامج المسلم فيه

ح دار طيبة الخضراء ، 1446هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الزهراني ، فايز سعيد

كثبان المسك فضل يوم الجمعة وبرنامج المسلم فيه

فايز سعيد الزهراني - ط1 - مكة المكرمة ، 1446 هـ

143 ص؛ 17×24 سم

رقم الإيداع: 1446/20077

ردمك: 978-603-8520-27-7



الطبعة الأولى

(1447هـ - 2025م)

يمكنكم طلب الكتب عبر

متجرنا الإلكتروني



حيثما كنت يصلك طلبك

dar.taibagreen123 | dar.taiba

@dar_tg | dar_tg

dartaibagreen@gmail.com | yyy.01@hotmail.com

012 556 2986 | 055 042 8992

مكة المكرمة - العزيزية - خلف مسجد فقيه

كُشَانُ المِسْكِ

فَضْلُ يَوْمِ الجُمُعَةِ

وَبَرْنَامَجُ المُسْلِمِ فِيهِ

تأليفُ

فَايِز بن سَعِيد الزَّهْرَانِي

دار طيبة الخضراء

للنشر والتوزيع | علمٌ يُنتفع به


بسم الله الرحمن الرحيم

الإهداء

إلى أول من جمَّع بالمدينة النبوية..

إلى السيد الكبير، نقيب بني النجار.

أسعد بن زرارة الخزرجي الأنصاري.

رضي الله عنه

فهرس الكتاب

المحتويات	الصفحة
الإهداء	٥
فهرس الكتاب	٧
مقدمة الكتاب	٩
بين يدي الجمعة	١٣
◀ الوظيفة الأولى	٢٠
◀ الوظيفة الثانية	٢٤
◀ الوظيفة الثالثة	٢٨
عظيم في الدنيا وفي الآخرة	٣١
◀ الحديث الأول	٣٥
◀ الحديث الثاني	٤١
◀ الحديث الثالث	٤٧
الجمعة في كتاب الله	٥١
◀ سعيٌ إلى ذكر الله	٥٣
◀ «الخير» في الاشتغال بالجمعة	٥٧
◀ فضلٌ بين ذكرين	٦٢

أعمال جليلة في الساعات النفيسة ٦٧
◀ الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ................................ ٧١
◀ صلاة الفجر في جماعة ٨٠
◀ التبكير إلى صلاة الجمعة... ٨٣
◀ التهيؤ لصلاة الجمعة ٩٧
◀ الاشتغال بالعبادة قبل حضور الإمام ١٠٥
◀ الدعاء وتحري ساعة الإجابة ١١٦
المحرومون من الخير.. ١٢٥
◀ وتركوك قائمًا ١٢٧
◀ دواعي الانصراف ١٣٠
◀ تجارة خاسرة ١٣٧
خاتمة ١٤١
المراجع ١٤٣

❁ ❁ ❁

مقدمة الكتاب

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه ومن والاه، **وبعد**..

ففي هذه الورقات أود تسليط الضوء على أحد أهم الملفات التربوية، والذي له كبير الأثر على الإنسان في دنياه وآخرته، وفي تزكيته وصلاحه، وله كبير الأثر أيضًا على الأمة والمجتمعات، في صلاحها وقوتها وتزكيتها، وهو ملف «يوم الجمعة» شعار المسلمين وعيدهم الأسبوعي، وكيف لا نوليه اهتمامًا وقد جاء القرآن بسورة اسمها «الجمعة» وأعلى من شأنها**!** قال ابن رجب: (والجمعة من جملة الأعياد، وهي عيد الأسبوع، كما أن عيد الفطر والأضحى عيد العام)[1]. وهو عيد للرجال والنساء، ووظائفه كذلك على الرجال والنساء، كلٌّ فيما يناسبه ويشرع له.

(١) فتح الباري لابن رجب ٨/ ١١٣.

وأحيط القارئ الكريم علمًا أنه لن يجد في هذا الكتاب تناولًا فقهيًا بمعناه الاصطلاحي لمسائل الجمعة، كحكمها ووقتها وخطبتها وشروطها، وهو تناول مهم وينبغي الاعتناء به، لكنه موجود في كتب الفقه، وإنما سنتناول الجانب التصوري والقلبي والمسلكي المتعلق بهذا اليوم العظيم.

وقد قسمت الكتاب إلى خمسة أقسام، فالأول تمهيد ثم يتلوه تعريف بالمكانة القدَرية ليوم الجمعة، ثم معرفة ما جاء عن «الجمعة» في كتاب الله تعالى، ثم وظائف العبد المسلم في هذا اليوم، ثم التطرق لمشكلة الانشغال عن فضائل الجمعة.

وأسميته: «**كُثبان المسك**». تيمنًا بما ورد في حديث جبريل عليه السلام عن يوم الجمعة في الجنة، وهو اليوم الذي سيكون جمع من أهل الجنة يوم الجمعة، على كثبان المسك يستمعون إلى كلام الله تعالى لهم ويرونه ويحدثونه، والكثيب: هو الرمل المستطيل المحدودب، سمي كذلك لأنه انصب في مكان واحد فاجتمع فيه[1].

(١) لسان العرب ١/ ٧٠٣.

وسيأتي الحديث بطوله إن شاء الله. وهو جزاء حسن من جنس اجتماعهم في الدنيا للجمعات. نسأل الله من فضله.

ووجدت أن من مشكلاتنا: التوقف عن تعلم فرائض الإسلام وأركانه ومبانيه، معتمدين على ما تعلمناه قديمًا عنها، فصار عند بعضنا وهْم الإحاطة بها، لذا ينبغي أن نجدد معارفنا نحوها، وأن نتعلمها من جديد، وأن نتوسع في ذلك مرة بعد مرة، وأن نقرأها من زوايا مختلفة، ففي كل قراءة علمية سنجد شيئًا جديدًا ومهمًا، وسنعلم أننا كنا بحاجة إلى تعلُّم بعض المسائل المهمة.

وهي دعوة لتكرار تعلُّم هذه الفرائض، من الرجال والنساء، ودعوة لتربية النشء والشباب عليها، فإن فيها صلاح الإنسان ومجتمعه وأمته، وفيها التقرب إلى الله تعالى وتوحيده واستمداد الرضا والتوفيق منه.

ولقد نشأنا -ونحن صغار- على تعظيم والِدينا ليوم الجمعة، جزاهم الله خيرًا، فكانت البيوت في صبيحة الجمعة مشغولة بالنظافة والاغتسال وتجهيز الملابس، ثم الذهاب ضحى إلى المسجد وقراءة القرآن والإنصات

للإمام، ثم العودة إلى البيت وهو في أحسن زينته وأنظفها، وقد تعطرت أرجاؤه بالرائحة الزكية، ثم اجتماع أهل البيت على مائدة واحدة، فكان لهذه المداومة الأسبوعية الأثر البالغ في نفوس الأجيال.

اللهم فقهنا في الدين وعلمنا التأويل، وارزقنا اليقين وصدق الإيمان، وطهر قلوبنا من النفاق وأعمالنا من الرياء، واجعلنا مقيمي الصلاة وذرياتنا. رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرًا.

كتبه الفقير إلى عفو ربه ومولاه

فـايز بن سعيد الزهـراني

٢٧ ذي القعدة ١٤٤٦هـ



بين يدي الجمعـة

قد يرى المتأمل في حال الأمة في هذا العصر صعودها المستمر، رغم الانكسارات، ويرى اتجاهًا إيجابيًا لمنحناها البياني، ولله الحمد، لكننا وبالرغم من هذه النظرة التفاؤلية يتوجب علينا ألا نغفل عن مواطن الضعف ومفاصل المشكلات، وعلينا المسارعة في إصلاح ما يمكننا إصلاحه، لا سيما تلك الأمور التي من شأنها أن تصنع تحولات أُسِّية على مستوى الفرد وعلى مستوى المجتمعات والأمة.

وأحسب أن «يوم الجمعة» واحد من هذه الأمور المفصلية، ذات الأثر العميق والكبير على كافة الأصعدة، وربك يخلق ما يشاء ويختار، ذلك أن يوم الجمعة من شعائر الله، بل هو من أعظم شعائر الإسلام، كما ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية[1] وغيره، وشعائر الله تعالى يجب تعظيمها وتوقيرها بما يليق بها، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢]. قال

(١) مجموع الفتاوى ١١/ ٦١٤.

السعدي: (الشعائر أعلام الدين الظاهرة، ومعنى تعظيمها إجلالها والقيام بها وتكميلها على أكمل ما يقدر عليه العبد، وأن تكون مكمَّلة من كل وجه، فتعظيم شعائر الله صادر من تقوى القلوب، فالمعظم لها يبرهن على تقواه وصحة إيمانه، لأن تعظيمها تابع لتعظيم الله وإجلاله)[1].

وربك يخلق ما يشاء ويختار، وقد اختار سبحانه يوم الجمعة من سائر أيام الأسبوع ليكون من شعائر الإسلام التي يجب تعظيمها، والتي تصنع أثرًا في قلب المؤمن وتصنع فيه التقوى بإذن الله، قال ابن القيم: (وكان من هديه ﷺ تعظيم هذا اليوم، وتشريفه، وتخصيصه بعبادات يختص بها عن غيره)[2].

وحين نتحدث عن أثر هذه الشعائر، فإن حديثنا سيبقى منقوصًا ولا يبلغ تمامه؛ لأن آثارها على الفرد والمجتمع والأمة لا يمكن عدها وحصرها، وكأنها تقوم بعدد من الوظائف التي تنتفع بها الأمة كما ينتفع بها الفرد، ولذلك فإن الجمعة شعيرة وشعار للأمة الإسلامية.

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٣/ ١٠٩٩ـ١١٠٠.

(٢) زاد المعاد ١/ ٤٥٩.

ولأفتح ذهنك على الاقتران بين ميلاد الأمة وصلاة الجمعة؛ سأنقل لك حادثة تاريخية ذات مغزى كبير، وأدعوك لتأملها، فقد روى إمام السيرة ابن إسحاق عن السيد الأنصاري أسعد بن زرارة أنه أول من جمع بالمدينة، بعد رجوعه من بيعة العقبة، وقبل الهجرة النبوية، أي في بداية تشكل الأمة المسلمة، فعن عبد الرحمن بن كعب بن مالك قال: كنت قائد أبي حين ذهب بصره، فكنت إذا خرجت به إلى الجمعة فسمع الأذان بها صلى على أبي أمامة أسعد بن زرارة قال: فمكث حينًا على ذلك؛ لا يسمع الأذان للجمعة إلا صلى عليه واستغفر له، فقلت في نفسي: والله إن هذا لي لعجز، ألا أسأله؟ فقلت: يا أبتِ مالك إذا سمعت الأذان للجمعة صليت على أبي أمامة؟ فقال: أيْ بني، كان أول من جمع بنا بالمدينة في هزْم النبيت من حرة بني بياضة في نقيع يقال له نقيع الخضمات. قلت: وكم أنتم يومئذ؟ قال: أربعون رجلًا)[1]. ثم نزلت آية الجمعة بعد الهجرة.

فتأمل كيف رأى سيد الأنصار حاجة المجتمع المسلم

---

(١) السيرة النبوية ٢/ ٥٩.

إلى يوم يجتمعون فيه للصلاة وذكر الله تعالى.

وقد استقر في أذهان المؤمنين أن الله تعالى لا يشرع شيئًا إلا وله فيه حكمة، ولا يجعل شيئًا معظمًا إلا وله فيه حكمة، وهذا مقتضى الإيمان بعلم الله وحكمته. وهذه الحكم الجليلة تعود علينا بالنفع والصلاح، وليس لله فيها حاجة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦-٥٨]. وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ [فاطر:١٥-١٧]. فالله غني عن خلقه، والخلق مفتقرون إليه، وإنما يشرع لهم ما يشاء من العبادات لما لها من فائدة تعود عليهم، سواء كانت حسية أو معنوية، وسواء كانت دينية أو دنيوية.

فإذا تمسك الناس بهذه الشعائر وعظموها اجتنوا ما تحمله من الثمرات والخيرات والبركات، في الأنفس والمجتمعات والأمة، وإذا أهملوها وفرطوا فيها وكسلوا عن إقامتها وغفلوا عن تعظيمها فاتهم من الخير والبركة

والثمرة بقدر ما أهملوا وفرطوا وكسلوا وغفلوا، في الأنفس والمجتمعات والأمة.

ويمكن القول بأن يوم الجمعة له عدد من الوظائف التي يصنعها في الناس، **من أهمها**:

❁ ❁ ❁

الوظيفة الأولى

إن أول وظيفة يقوم بها يوم الجمعة هي تكثير الأجور ومضاعفة الحسنات وتثقيل الموازين ومغفرة الذنوب، وهذا من كرامة الله لهذه الأمة، فعمر الإنسان في هذه الأمة قصير بالنسبة إلى الذين من قبلنا، كما جاء عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين، وأقلهم من يجوز ذلك»[1]. ثم يذهب جزء كبير من هذا العمر في النشأة قبل البلوغ، قد يصل إلى خمس عشرة سنة، وما بقي من عمره هو الذي يكلف فيه الإنسان، وتعد عليه فيه أعماله من الحسنات والسيئات، وهو في ذلك المتبقي من عمره مشغول بدنياه ويقع منه اللهو والغفلة، فضلًا عن وقت النوم والحاجات الحياتية.

فأكرم الله تعالى هذه الأمة بمواسم تضاعف فيها الأجور والحسنات، فضلًا منه ونعمة، مثلما أكرمها بمضاعفة

(١) الترمذي (٣٥٥٠) وابن ماجه (٤٢٣٦).

الأجور في بعض الأماكن كالمسجد الحرام بمكة، ومثلما أكرمها كذلك بأعمال تدر على صاحبها ما لا يحصى من الحسنات، كما في الحديث عن أبي هريرة ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له»(١). وبهذه الفضائل والمواسم يمكن للعبد أن يدرك -بعد رحمة الله- الأجور الكثيرة، وأن يسبق إلى أعالي الدرجات، ونسأل الله من فضله.

وقد أشار النبي ﷺ إلى هذا السبق في الأجور والدرجات، فعن أبي هريرة ﵁ عن النبي ﷺ قال: «نحن الآخرون، السابقون يوم القيامة، بَيْد كلُّ أمة أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتينا من بعدهم»(٢).

تأمل مثلًا فضل ليلة القدر، فقد أخبر الله تعالى عنها بقوله: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾ [القدر:٣]. فتكون كل عبادة فيها تفضل على ذات العبادة في ألف شهر، أي أنها تفضل ثلاثين ألف مرة، سوى مضاعفة الحسنة بعشر

(١) مسلم (١٦٣١).

(٢) البخاري (٣٤٨٥) وسلم (٨٥٥).

أمثالها، فهذا فضل عظيم أكرم الله به عباده، يندبهم الله تعالى إلى تحري العبادة في ليلة واحدة من عشر ليالي في السنة، فتكون في ميزان حسناتهم أكثر من عبادة ثلاثة وثمانين سنة، ثم يفعلون مثل ذلك في العام التالي، فيضاعف لهم العمل كذلك، وهكذا في كل عام.

وكأن ذلك الذي يعظم هذه الشعائر ويغتنم تلك المواسم يعيش مئات السنين أو ربما آلاف السنين، بينما هو قد لا يتجاوز عمره السبعين أو الثمانين، فتخيل -أيها المبارك- أن ناسًا من هذه الأمة سيبعثون يوم القيامة وسيجدون في صحائفهم أعمالًا تبلغ أجورها مئات السنين أو ربما آلاف السنين، ذلك وربي هو الفوز العظيم.

ولهذا قد يتعجب البعض، ويستغرب هذا التفصيل في مضاعفة الحسنات والأجور، لكن العلماء أجابوا عن ذلك بأن فضل الله واسع، وكرمه لا حد له، والإيمان بما ثبت من النصوص واجب. ولم يبق بعد هذا الكرم والعطاء إلا مبادرتنا وسباقنا إلى اغتنام هذه المواسم الفاضلة وتعظيم هذه الشعائر الظاهرة، والاقتداء بفعل سلفنا الصالح الذين كانوا يستثمرون في هذه الفضائل، فاللهم اهدنا ووفقنا لذلك.

والجمعة تدخل في هذا الباب من وجوه عدة، كما سترى إن شاء الله تعالى.

❁ ❁ ❁

الوظيفة الثانية

والوظيفة الثانية ليوم الجمعة هي إصلاح المجتمع وتقوية بنيان الأمة من داخلها، فيحدث فيها التماسك، ويظهر قوتها وشوكتها، ويصنع فيها الائتلاف، ويذيب فيها الفوارق المصطنعة، ويحوطها بسياج الحماية، ويحصنها من العاديات المعنوية والحسية. لقد كان أسعد بن زرارة يشعر بالحاجة إلى أن يكون للأمة مظهر من مظاهر القوة والائتلاف، فكانت صلاة الجمعة هي الاجتماع الأسبوعي للأمة، الذي يلتقي فيه الناس ويتذاكرون قضاياهم المهمة، ويذكرون بأصل اجتماعهم، وهو توحيد الله واتباع رسوله ﷺ.

وصلاة الجمعة تفرض الاجتماع والوحدة، والالتقاء والحوار، وعلى طريق المسجد تقام أسواق مؤقتة، فيبيع الناس ويشترون، ويربحون ويستفيدون، ويبتغون من فضل الله.

وفي المسجد يعظ الإمام المصلين، ويعلمهم أمور

دينهم، ويحضر المسلمون كل أسبوع إلى المسجد لتلقي هذا العلم الشرعي، فيكون سببًا في هدايتهم ودفعهم إلى عمل الصالحات، ويكون سببًا في نفورهم من المحرمات والموبقات، ثم هو يدعو للمسلمين والمجاهدين والمستضعفين في بقاع العالم الإسلامي، فيؤمِّن الناس لدعائه، ويستجيب الله تعالى فيحسن حال الأمة، ويتصل الشعور بين القاعدين وأهل الثغور، ويشعر المسلمون بالجسد الواحد.

وتأمل -مثالًا على أثر الجمعة في قوة المسلمين- ما حصل للمسلمين في معركة ملاذ كرد الشهيرة الواقعة في سنة ٤٦٣هـ، والتي كانت القيادة فيها على المسلمين للقائد الصالح ألب أرسلان، حيث أشار عليه إمامه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري الحنفي، فقال له: (إنك تقاتل عن دينٍ وعَد الله بنصره وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله قد كتب باسمك هذا الفتح، فالْقَهم يوم الجمعة، في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين)[1]. فعمل بمشورته،

(١) تاريخ الإسلام ١٠/ ١٤٢.

وفتح الله عليهم بالنصر على جيش الروم، فكانت «الجمعة» سببًا من أسباب النصر الكبير.

وأذكر لك مثالًا آخر، وهو ما فعله صلاح الدين الأيوبي في حطين سنة ٥٨٣هـ، قال أبو شامة المقدسي وهو ينقل حيثيات ذلك الفتح العظيم: (ثم عرض السلطان العساكر منتصف ربيع الآخر على تل يُعرَف بتل «تسيل» ورتبهم، واندفع قاصدًا إلى بلاد العدو في وسط نهار الجمعة، وكان أبدًا يقصد بوقعاته الجُمَع، لا سيما أوقات صلاة الجمعة، تبركًا بدعاء الخطباء على المنابر، فربما كانت أقرب إلى الإجابة)[1].

وقبيل صلاة الجمعة وبعدها يتصدق الناس وينفقون، ويهدون ويحسنون، ويصلون الأرحام، وتتزين بيوتهم بكل جميل، وكأن الناس في حاجة إلى يوم في الأسبوع ليصنع لهم ذلك، ويرتقي بأخلاقهم وعلاقاتهم، ويحسِّن الحالة الاجتماعية والإيمانية، فكان هذا اليوم الجمعة، قال ابن القيم: (الطاعة الواقعة من المسلمين يوم الجمعة أكثر منها

---

(١) الروضتين في أخبار الدولتين ٣/ ٢٩٣.

في سائر الأيام، حتى إن أكثر أهل الفجور ليحترمون يوم الجمعة وليلته، ويرون أن من تجرأ فيه على معاصي الله عجل الله عقوبته ولم يمهله، وهذا أمر قد استقر عندهم وعلموه بالتجارب، وذلك لعظم اليوم وشرفه عند الله، واختيار الله له من بين سائر الأيام)[١].

وقد كان الناس في القرى والبلدات إلى عهد قريب، إذا ألمتهم حاجة عامة أو نزلت بهم نازلة عامة؛ رصدوا لها أعقاب صلاة الجمعة، فناقشوها وعالجوها، ثم خرجوا من المسجد على قرارات تجاهها، قرارات ملزمة، وبسؤال من تبقى من الكبار المباركين سيفيدونك بنحو هذا القول.



(١) زاد المعاد ١/ ٤٣.

الوظيفة الثالثة

والوظيفة الثالثة ليوم الجمعة هي إصلاح النفس وتزكيتها. وهذا أمر آخر غير تكثير الأجر، لكنه مقترن به، فإذا أدَّى المؤمن العمل المأمور به في هذه الشعائر عاد عليه هذا العمل بالإصلاح والتهذيب والتزكية والتربية، قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ﴾ [محمد:١٧]. فتعود هذه النفس من تلك الشعيرة، بخير مما كانت عليه، فكما أنه تُغفر الذنوب وتزداد الحسنات بذلك، فكذلك يزداد الإيمان وتسمو الروح ويقل الانجذاب إلى الماديات وتتهذب الأخلاق ويصفو العقل، ويقترب الإنسان من ربه، ويكون أكثر مشاهدة لليوم الآخر، ونحو ذلك من وظائف الشعائر، فليست الشعائر مجرد تكليف لاختبار الناس، بل فيها كذلك مصالح ولها وظائف.

وتأمل مثلًا ما تفعله الصلاة في النفس، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾

[العنكبوت:٤٥]. قال ابن تيمية: (ومعلوم أن من حافظ على الصلوات بخشوعها الباطن، وأعمالها الظاهرة، وكان يخشى الله الخشية التي أمره بها، فإنه يأتي بالواجبات، ولا يأتي كبيرة)[1].

فهذه وظائف عظيمة تقوم بها الشعائر، تعود منفعتها على الفرد وعلى المجتمع وعلى الأمة بالخير والقوة والنماء، وكلما تهاون الناس في تعظيمها هانوا وضعفوا.

وما أوردته من أمثلة على هذه الوظائف فهو من باب البيان والتوكيد لا الحصر، فإن باب الحكمة من الشعائر باب عظيم، ومن أعظم الشعائر الظاهرة «صلاة الجمعة» وما يحفها من عبادات متنوعة، فإن فضائلها على النفس والمجتمع عظيمة وجليلة، ولهذا يمكن القول إن أحد أسباب الضعف الذي نلمسه في أنفسنا ومجتمعاتنا وأمتنا هو تقصيرنا في حق هذه الشعائر، والجمعة منها.

وتأتي هذه الورقات لتجيب عن سؤال سائل:

هل يوم الجمعة مصدر تزكية للنفس حقيقة؟ وهل هو

(١) مجموع الفتاوى ٧/ ٣١.

موسم تربية؟ وهل هو عامل إصلاحي في الأمة؟ وهل هو سبب في تكثير الأجور ومغفرة الذنوب؟ لننظر ونتأمل..

❁ ❁ ❁

عظيم في الدنيا وفي الآخرة

قبل الحديث عن فضائل الأعمال في يوم الجمعة يتوجب الحديث عن مكانة هذا اليوم عند الله تعالى، وخصائصه وسماته التي جعلها الله فيه، فإنه ليس كسائر الأيام، والله ﷻ له مطلق الاختيار، فهو الخالق وهو العليم، يعلم ما الذي يصلح وما الذي لا يصلح، وما هو الحسن وما هو الأحسن، قال سبحانه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [القصص:٦٨]، فهو يخلق ما يشاء، ثم يختار ما يشاء مما خلق، فهناك أماكن عظَّمها الله ﷻ مثل البلد الحرام «مكة»، وهناك أزمنة معظمة مثل: شهر رمضان وليلة القدر ويوم الجمعة وغيرها، وهناك مبانٍ يُحبها الله ﷻ مثل: المساجد، جعلها الله ﷻ بيوتًا له، فالداخل فيها داخل في بيت من بيوت الله ﷻ، والله ﷻ فضَّل الرسل على سائر الناس، وفضل أصحابهم على سائر الأصحاب، وفضل أولي العزم من الرسل على سائر الرسل، وفضل محمدًا ﷺ على جميع الرسل والأنبياء، فهكذا يخلق الله ﷻ ما يشاء ويختار،

وهكذا اختار يوم الجمعة من بين سائر الأيام، وتوضيح ذلك فيما يلي:

۞ ۞ ۞

الحديث الأول

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد كل أمة أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتينا من بعدهم، فهذا اليوم الذي اختلفوا، فغدًا لليهود وبعد غدٍ للنصارى»[1].

ففي هذا الحديث يبين النبي صلى الله عليه وسلم وجهًا من أوجه تفضيل أمة الإسلام على اليهود والنصارى، يجعلها متأخرين عنهم زمنًا، وسابقين لهم فضلًا بسببه، وهو الاهتداء إلى فضل الجمعة، بينما اليهود والنصارى لم يهتدوا إليه ففضلوا غيره من الأيام.

وهذه قصة تاريخية مهمة، ينبغي معرفتها والاعتناء بها، لما فيها من المنة العظيمة من الله تعالى، ولهذا جاء في الرواية الأخرى: «نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد

(١) البخاري (٣٤٨٥) ومسلم (٨٥٥).

أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فرض عليهم فاختلفوا فيه فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدا والنصارى بعد غد»[1]. وفي لفظ لمسلم: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة».

وأصل القصة أن اليهود والنصارى اختلفوا في اليوم المعظم الذي كلفهم الله بتعظيمه؛ أي يوم هو؟ فأضلهم الله عن يوم الجمعة، وهدى أمتنا إليه، والحديث يعني أن يوم الجمعة مفروضٌ في الأمم التي قبلنا، فهو يوم اختاره الله ﷻ ليكون خير الأيام قدرًا وكونًا، ولكن ما هُدِي له إلا هذه الأمة، فكيف ذلك؟ وكيف ضلوا عن يوم الجمعة؟

للعلماء في بيان كيفية ضلال اليهود والنصارى عن يوم الجمعة قولان.

القول الأول: إن الله ﷻ افترض على اليهود والنصارى يومًا مبهمًا، وأمرهم أن يجتهدوا في إصابة هذا اليوم، وتعظيمه وإقامة الشعائر التعبدية المندوب إليها فيه، فاختلفوا ما هو اليوم؟ واجتهدوا ولم يصيبوا، فاليهود

---

(١) البخاري (٨٨٦) ومسلم (٨٥٥).

اختاروا يوم السبت، والنصارى اختاروا يوم الأحد، فضلوا بالاختيار، ولم يهتدوا إلى يوم الجمعة، قال ابن بطال: ليس المراد أن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه فتركوه، لأنه لا يجوز لأحد أن يترك ما فرض الله عليه وهو مؤمن، وإنما يدل على أنه فُرض عليهم يومٌ من الجمعة وُكِّل إلى اختيارهم ليقيموا فيه شريعتهم، فاختلفوا في أي الأيام هو ولم يهتدوا ليوم الجمعة. ومال إليه عياض ورشحه بأنه لو كان فرض عليهم بعينه لقيل: فخالفوا، بدل فاختلفوا[1].

القول الثاني: إن يوم الجمعة فرض عليهم بعينه، فتركوه واختاروا غيره تحريفًا للشريعة واستحسانًا لآرائهم ومقترحاتهم وتركهم لأمر الله تعالى، كما هي عادتهم في تحريف الشريعة. قال السدي، وبنحوه محمد بن السائب الكلبي ومقاتل: (إن الله فرض على اليهود الجمعة فأبوا، وقالوا: يا موسى، إنه لم يخلق يوم السبت شيئًا؛ فاجعل لنا السبت. فلما جعل عليهم السبت استحلوا فيه ما حرم عليهم)[2].

---

(١) فتح الباري لابن حجر ٢/ ٣٥٥.

(٢) موسوعة التفسير المأثور ١٢/ ٧٢٤.

قال ابن رجب: (إن اليهود والنصارى لما فرض عليهم تعظيم الجمعة والعبادة فيه لله واتخاذه عيدًا للاجتماع فيه لذكر الله فيه ضلوا عنه، فاختارت اليهود السبت لأنه يوم فرغ فيه الخلق، واختارت النصارى الأحد لأنه يوم بدئ فيه الخلق، فهدانا الله للجمعة، فصار عيدنا أسبق من عيدهم، وصاروا لنا في عيدنا تبعًا، فمنهم من عيده الغد من يوم الجمعة، ومنهم من عيده بعد غد. وإنما ضلت الطائفتان قبلنا لتقديمهم رأيهم على ما جاءت به رسلهم وأنبياؤهم، واهتدت هذه الأمة باتباعهم ما جاءهم به رسلهم عن ربهم، من غير تغيير له ولا تبديل)[1].

ولا تستغرب تقديمهم الرأي على النص في تفضيل يوم وتعظيمه والتفرغ فيه للعبادة، فأنت واجدٌ اليوم من ينادي في بلدان المسلمين -فضلًا عن أهل الكتاب- بألا تتوقف في يوم الجمعة الأعمال والمهن والوظائف لأجل صلاة الجمعة، لأن الاقتصاد العالمي لا يتوقف يوم الجمعة، مبررين هذه المطالب بأسباب اقتصادية، فبنحو ذلك ضلت اليهود والنصارى عن يوم الجمعة، ووجه آخر

---

(١) فتح الباري لابن رجب ٨/ ٧٢.

ذكره النووي في ترك الجمعة إلى غيره، قال: (ويمكن أن يكون أُمروا به صريحًا، ونُصَّ على عينه، فاختلفوا فيه هل يلزم تعيينه أم لهم إبداله، وأبدلوه وغلطوا في إبداله)[1].

وقد أخبرنا النبي ﷺ كما في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، بأننا سنتبعهم وسنشابههم، فقال عليه الصلاة والسلام: «لتتبعن سنن من كان قبلكم شبرًا بشبر، وذراعًا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضب تبعتموهم». قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارى؟ قال: «فمن؟»[2]. إلا طائفة في المسلمين ثابتة على الحق، كما جاء في حديث ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم، حتى يأتي أمر الله وهم كذلك»[3].

وفي كيفية هداية الله للأمة قولان، ذكرهما الحافظ في الفتح، وفيه شاهد اجتهاد الأنصار في تعيينه، وإصابتهم في اجتهادهم هذا، قال: (قوله: «فهدانا الله له» يحتمل أن

---

(١) المنهاج ٦/ ١٤٣.

(٢) البخاري (٧٣١٥) ومسلم (٢٦٦٩).

(٣) مسلم (١٩٢٠).

يراد بأن نص لنا عليه. وأن يراد الهداية إليه بالاجتهاد، ويشهد للثاني ما رواه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن محمد بن سيرين قال: جمع أهل المدينة قبل أن يقدمها رسول الله ﷺ وقبل أن تنزل الجمعة، فقالت الأنصار: إن لليهود يومًا يجتمعون فيه كل سبعة أيام، وللنصارى كذلك، فهلمَّ فلنجعل يومًا نجتمع فيه فنذكر الله تعالى ونصلي ونشكره. فجعلوه يوم العروبة، واجتمعوا إلى «أسعد بن زرارة» فصلى بهم يومئذ)[1].

والمقصود فضيلة هذه الأمة، في اتباعها النبي ﷺ، وتقيدها بالتوقيت الذي وقَّته النبي ﷺ، فنسأل الله سبحانه وتعالى أن ينالنا من هذا أجرًا كبيرًا.



(١) فتح الباري لابن حجر ٢/ ٣٥٥.

الحديث الثاني

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أدخل الجنة، وفيه أخرج منها، ولا تقوم الساعة إلا في يوم الجمعة»[1].

ففي هذا الحديث بيان لمزايا كونية ليوم الجمعة، مزايا جعلها الله تعالى لهذا اليوم، وكل مزية تجعله يومًا عظيمًا، فكيف باجتماعها معًا في يوم واحد! ففي هذا اليوم خلق الله تعالى آدم عليه السلام، وفي هذا اليوم أدخل الله تعالى آدم الجنة، وفي هذا اليوم أخرج الله تعالى آدم من الجنة إلى الأرض، وفي هذا اليوم تقوم الساعة، وربك يخلق ما يشاء ويختار.

وهذه أحداث عظيمة لم تكن ولا تكون إلا في يوم الجمعة، هكذا أراد الله تعالى، وهكذا اختصه بها.

---

(١) مسلم (٨٥٤).

وقد يسأل أحدنا فيقول: كيف يكون خروج آدم من الجنة شيئًا ذا قيمة؟

أجاب القاضي عياض عن ذلك فقال: (الظاهر أن هذه الفضائل المعدودة ليست لذكر فضيلته؛ لأن إخراج آدم وقيام الساعة لا يعد فضيلة، وإنما هو بيان لما وقع فيه من الأمور العظام وما سيقع، ليتأهب العبد فيه بالأعمال الصالحة لنيل رحمة الله ودفع نقمته هذا)[1]. فالقاضي عياض نظر إلى الجانب العملي في الحديث، فقال: ليست كلها فضائل، وإنما فيها أمور عظيمة تستدعي المبادرة إلى العمل الصالح، وكأنه يقول: إن يوم الجمعة الذي ستقوم فيه الساعة ينبغي أن يكون يومًا عمليًا يستعد الناس له ويملؤونه بالأعمال الصالحة.

وأبو بكر ابن العربي تعقب كلام القاضي، فقال: (الجميع من الفضائل، وخروج آدم من الجنة هو سبب وجود الذرية وهذا النسل العظيم ووجود الرسل والأنبياء والصالحين والأولياء، ولم يخرج منها طردًا، بل لقضاء أوطار ثم يعود إليها، وأما قيام الساعة فسبب لتعجيل جزاء

---

(١) المنهاج ٦/ ١٤٢.

الأنبياء والصديقين والأولياء وغيرهم وإظهار كرامتهم وشرفهم)[1]. فهو يرى أنها فضائل لما آلت إليه من صلاح وخير.

والمقصود أن الله تعالى اختار يوم الجمعة ليكون خير أيام الأسبوع منذ القدم، وجعل أحداثًا عظيمة تكون في هذا اليوم، فليس فضيلته إذن للجانب العملي فيه فقط.

وللحديث عدد من الشواهد المهمة، وفيها ألفاظ مقاربة ومعانٍ جليلة، فمنها:

- عن أوس بن أوس ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي»[2]. ففي هذه الرواية إضافة أمور أخرى، وهي أن موت آدم كان يوم الجمعة، وأن كلا النفختين ستكون يوم الجمعة.

---

(١) المنهاج ٦/ ١٤٢.

(٢) أبو داود (١٠٤٧) والنسائي (١٣٧٤) وابن ماجه (١٠٨٥) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٢٢١٢).

- عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة؛ فيه خلق آدم، وفيه أهبط، وفيه تيب عليه، وفيه مات، وفيه تقوم الساعة، وما من دابة إلا وهي مُسيخة يوم الجمعة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقًا من الساعة إلا الجن والإنس، وفيه ساعة لا يصادفها عبد مسلم وهو يصلي يسأل الله حاجة إلا أعطاه إياها»[1]. ففي هذه الرواية إضافة أمور أخرى كذلك؛ وهي أن يوم الجمعة هو اليوم الذي تاب الله تعالى فيه على آدم، وفيه تتغير الحالة المزاجية لكل دابة عدا الإنس والجن، وهي أنها من خشيتها من قيام الساعة تظل مستمعة كل جمعة، تترقب النفخ في الصور إعلانًا بانتهاء الدنيا وبدء القيامة، وفيه ساعة الإجابة وسنتناوله لاحقًا إن شاء الله تعالى.

- عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تطلع الشمس ولا تغرب على يوم أفضل من يوم الجمعة، وما من دابة إلا تفزع ليوم الجمعة، إلا هذين الثقلين

(١) أبو داود (١٠٤٦) والنسائي (١٤٣٠).

من الجن والإنس»[1].

ويتلخص من الحديث السابق وشواهده أن يوم الجمعة وقع فيه ما يلي:

(١) خلق الله تعالى آدم فيه.

(٢) أدخل الله تعالى آدم الجنة فيه.

(٣) تاب الله تعالى على آدم فيه.

(٤) أخرج الله تعالى آدم من الجنة إلى الأرض فيه.

(٥) مات آدم فيه.

ويقع في كل يوم جمعة ما يلي:

(١) تسيخ الدواب بأسماعها ترتقب قيام الساعة.

(٢) ساعة الجمعة التي يستجيب الله تعالى فيها الدعاء.

وسيقع في يوم الجمعة ما يلي:

(١) قيام الساعة.

---

(١) المسند (٧٦٨٧) وحسنه الألباني، والذي قبله في صحيح الترغيب والترهيب (٦٩٧).

(٢) كلا النفختين.

فتعلم بذلك أن يوم الجمعة ذو شأن عظيم عند الله تعالى، وقد اختلف العلماء: أيهما أفضل يوم الجمعة أم يوم عرفة، على قولين، قال ابن القيم: (والصواب أن يوم الجمعة أفضل أيام الأسبوع، ويوم عرفة ويوم النحر أفضل أيام العام، وكذلك ليلة القدر وليلة الجمعة)[1]. أي أن ليلة القدر أفضل ليالي العام، وليلة الجمعة أفضل ليالي الأسبوع. والمقصود أن لعظيم فضْل يوم الجمعة فضَّله بعض أهل العلم على يوم عرفة، مستندين إلى دليل ينص على ذلك، وليس رأيًا مجردًا.



(١) زاد المعاد ١/ ٤٠.

الحديث الثالث

عن أنس بن مالك ﵁ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أتاني جبريل ﵇، وفي كفه كالمرآة البيضاء يحملها، فيها كالنكتة السوداء، فقلت: ما هذه التي في يدك يا جبريل؟ فقال: هذه الجمعة. قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير. قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عيدًا لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهود والنصارى تبعًا لكم. قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئًا هو له قَسْم إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقَسْم إلا ذُخِر له في آخرته ما هو أعظم منه.

قلت: ما هذه النكتة التي فيها؟ قال هي الساعة، ونحن ندعوه يوم المزيد. قلت: وما ذلك يا جبريل؟ قال: إن ربك اتخذ في الجنة واديًا فيه كثبان من مسك أبيض، فإذا كان يوم الجمعة هبط من عليين ﷻ على كرسيه، فَيُحَفُّ الكرسي بكراسي من نور، فيجيء النبيون حتى

يجلسوا على تلك الكراسي، وتُحَفُّ الكراسي بمنابر من نور ومن ذهب مكللة بالجوهر، ثم يجيء الصديقون والشهداء حتى يجلسوا على تلك المنابر، ثم ينزل أهل الغرف من غرفهم حتى يجلسوا على تلك الكثبان، ثم يتجلى لهم ﷻ، فيقول: أنا الذي صدقتكم وعدي وأتممت عليكم نعمتي، وهذا محل كرامتي فاسألوني. فيسألونه، حتى تنتهي رغبتهم؛ فيفتح لهم في ذلك ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، وذلك بمقدار منصرفكم من الجمعة.

ثم يرتفع على كرسيه ﷻ ويرتفع معه النبيون والصديقون والشهداء، ويرجع أهل الغرف إلى غرفهم، وهي لؤلؤة بيضاء أو زمردة خضراء أو ياقوتة حمراء، غرفها وأبوابها منها، أنهارها مطردة فيها وأزواجها وخدامها، وثمارها متدلية فيها، فليسوا إلى شيء أحوج إليهم منهم إلى يوم الجمعة ليزدادوا نظرًا إلى ربهم، ويزدادوا منه كرامة»[1].

وهذا حديث عظيم في فضل يوم الجمعة، قال عنه

(١) مسند الشافعي ص٧٠، رؤية الله للدارقطني (٥٩).

ابن القيم: (هذا حديث كبير عظيم الشأن، رواه أئمة السنة وتلقوه بالقبول، وجَمَّل به الشافعي مسنده)[1]. وفيه معان جليلة، وأهمها مكانة يوم الجمعة في الآخرة، والذي تسميه الملائكة «يوم المزيد» وفيه تكون الجائزة الكبرى لأهل الجنة، وهي لقاؤهم بالله تعالى ونظرهم إلى نور وجهه، واستماعهم إلى كلماته القدسية، التي كلها نور ورضا. ونسأل الله من فضله وعطاياه وألا يحرمنا من ذلك اللقاء العظيم.

فيوم الجمعة هو سيد أيام الجنة، كما هو سيد أيام الدنيا، وكما أن الناس تجتمع في الدنيا يوم الجمعة لحضور الخطبة والوقوف بين يدي الله فإنها تجتمع في الجنة للقاء الله وحضور ذلك المجلس العظيم، ومن الموافقات -والجزاء من جنس العمل- أن مكان الناس في جلوسهم وقربهم من الله في جمعة الجنة بحسب مكانهم من إمام الجمعة في الدنيا، كما جاء في الأثر عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (سارعوا إلى الجُمَع، فإن الله عز وجل يبرز إلى أهل الجنة في كل جمعة في كثيب من كافور،

(١) حادي الأرواح ٢/ ٦٥١.

فيكونون منه من القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة، فيحْدِث الله ﷻ لهم من الكرامة شيئًا لم يكونوا رأوه قبل ذلك، ثم يرجعون إلى أهليهم فيحَدِّثونهم بما أحدث الله لهم). قال: ثم دخل عبد الله المسجد، فإذا هو برجلين. فقال عبد الله: (رجلان، وأنا الثالث. إن يشأ الله يبارك في الثالث)[1]. فكأن حيثيات صلاة الجمعة في المساجد تحكي حيثيات لقاء الجمعة في الجنة، في التقديم والتأخير، والقرب والبعد، فيالها من فضائل كم فرطنا فيها لأجل نوم أو لهو أو كسل أو تراخٍ.

إن أول شيء يجب علينا تجاه يوم الجمعة أن نعرف قدره عند الله تعالى، وأن نعرف قدره عند ملائكته وعباده الصالحين، ونعرف فضله، وأن تعظمه قلوبنا، فإذا صح هذا الأمر في قلوبنا ونفوسنا ستنبعث جوارحنا في العمل فيه بما يحب الله تعالى.



---

(١) الطبراني الكبير (٩١٦٩). وصححه ابن تيمية في الفتاوى (٦/ ٤٠٤) وقال: (وهذا الذي أخبر به ابن مسعود أمر لا يعرفه إلا نبي، أو من أخذه عن نبي، فيعلم بذلك أن ابن مسعود أخذه عن النبي ﷺ).

الجمعة في كتاب الله

سعيٌ إلى ذكر الله

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٩ فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَٱبۡتَغُواْ مِن فَضۡلِ ٱللَّهِ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرٗا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [الجمعة:٩-١٠].

أمر الله تعالى المؤمنين إذا نودي لصلاة الجمعة أن يسعوا إلى ذكر الله ويذروا البيع. والسعي في أصله هو المشي سريعًا، لكنه يحمل معنى الاهتمام أيضًا، لذلك استعملت هذه اللفظة للعمل المصحوب بالاهتمام، قال السمين الحلبي: (السعي المشي السريع، وهو دون العدو، ويستعمل للجد في الأمر، خيرًا كان أو شرًا. قال تعالى: ﴿وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآ﴾ [البقرة:١١٤]. وقال تعالى: ﴿يَسۡعَىٰ نُورُهُم بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الحديد:١٢]. وهو من أبلغ الاستعارات، وغلب السعي في الأمور المحمودة)[١].

(١) عمدة الحفاظ ٢/ ٢٠٠.

فيكون معنى السعي في هذه الآية: **المضي إلى صلاة الجمعة، والقيام بما يستلزمه المضي إليها والاهتمام بشؤونها**.

قال الطبري: (فامضوا إلى ذكر الله، واعملوا له. وأصل السعي في هذا الموضع العمل)[1]. وذكر آثارًا عن السلف في هذا، قال قتادة: (أن تسعى بقلبك وعملك). وقال عكرمة والضحاك: (السعي العمل). وبه قال الشافعي أيضًا[2]. فكأنه يقول: اذهبوا وبكروا وبادروا بالعمل، ذلك العمل المتعلق بذكر الله.

وتأمل قول قتادة: «أن تسعى بقلبك وعملك» فهو يريد منك مزيد اعتناء واهتمام، فكأنك في يوم الجمعة متوجه إلى ذكر الله تعالى بنفسك ومشيك وحركتك وماجرياتك، متوجه بقلبك ووجدانك وجوارحك.

وبناء على هذا المفهوم أنقل كلام الواحدي في معناها، يقول: (فاعملوا على المضي إلى ذكر الله؛ من

(١) جامع البيان ٢٢/ ٦٣٧.

(٢) الأم ١/ ٢٢٥.

التفرغ له والاشتغال بأسبابه من الطهارة والغسل والتوجه إليه بالقصد والنية)[1]. ويقول ابن عطية: (فالقيام والوضوء ولبس الثوب والمشي سعيٌ كله إلى ذكر الله)[2]. فأنت تجدهما يذكران للجمعة هذه الأعمال ويعدانها من السعي إلى ذكر الله، كالتنظف والتطهر والغسل ولبس الثوب والتطيب والذهاب إلى المسجد.

ويقول ابن الجوزي: (فيكون المعنى: فاعملوا على المضي إلى ذكر الله بالتفرغ له، والاشتغال بالطهارة ونحوها)[3]. أي أن التفرغ من أعمال الدنيا للاشتغال بذكر الله يوم الجمعة هو من السعي إلى ذكر الله، وهذا في حد ذاته تربية، فإننا طوال أيام الأسبوع منشغلون في أعمال الدنيا المختلفة، ومشتغلون بالحقوق التي علينا في باب فروض الكفايات والواجبات، وكل ذلك مطلوب منا، ثم تأتي الجمعة فنفرغ لها قلوبنا وأوقاتنا وأعمالنا، فلا نشتغل إلا بعبادات يوم الجمعة ولا نهتم إلا بمزيد القرب

(١) التفسير البسيط ٢١/٤٥٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٣٠٩.

(٣) زاد المسير ٤/٢٨٣.

من الله فيه، ولذلك قال ابن كثير: (اقصدوا واعمدوا واهتموا في مسيركم إليها، وليس المراد بالسعي هاهنا المشي السريع، وإنما هو الاهتمام بها)[1]. ولذلك أعقب ابن كثير قوله بسرد عدد من الأحاديث الواردة في الاغتسال والتبكير، وأعمال الجمعة، باعتبارها من السعي إلى ذكر الله.



(١) تفسير القرآن العظيم ٨/ ١٢٠.

«الخير» في الاشتغال بالجمعة

في قوله تعالى: ﴿فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَذَرُواْ ٱلۡبَيۡعَۚ ذَٰلِكُمۡ خَيۡرٞ لَّكُمۡ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [الجمعة:٩] ما يدل على ما ذكرته لك سابقًا عن أثر إقامة الشعائر على النفس والمجتمع والأمة، فالآية تنص على أن الاشتغال بالجمعة وترك البيع «خير» للناس من الاشتغال بالبيع الذي طبيعته التكسب وزيادة المال! فلو كان الناس «يعلمون» حق العلم ما الذي ينفعهم وما الذي لا ينفعهم لتركوا في يوم الجمعة كل ما يشغلهم عن «ذكر الله».

ومن هذا الخير: الأجر الكبير الذي يعود على الساعين إلى ذكر الله في طُهورهم وتبكيرهم إلى المسجد وكثرة ما حصلوه فيه من الازدياد في النوافل وقراءة القرآن والدعاء وذكر الله والصلاة على النبي ﷺ ثم إنصاتهم للإمام في خطبته وتأمينهم على دعائه وصلاتهم تلك الفريضة العظيمة وأداء سنتها البعدية.

كل تلك الأعمال والأقوال الظاهرة والباطنة تكتب في سجل الحسنات، ويؤجر المرء عليها عند الله.

ومن هذا الخير: ما يعود على الساعي إلى ذكر الله من تهذيب للنفس وتزكية للقلب، فإن الاشتغال بذكر الله والصلاة وتلاوة القرآن والدعاء والصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة تربي المسلم على تقديم أمر الله تعالى على المنافع الدنيوية والمكاسب المالية ولو كانت مباحة، وعلى الاستجابة لأمر الله، وتربيه على تأجيل الرغبات والإمساك عن الشهوات، وعلى النظر في أمر الآخرة وعلى جلسة الأدب بين يدي أهل العلم والمعرفة، وعلى التواضع للعلم.

ومن هذا الخير: اجتماع أهل الإسلام، ورؤية غائبهم، وتفقد مريضهم، وفشو السلام بينهم، في هيئة جميلة من التنظف والتطيب ولبس أحسن الثياب، وكون اجتماعهم على خير وطاعة فيبارك لهم فيه، فيكون بذلك قوة للمجتمع وتوحيدًا للكلمة، ولهذا لم يجز جماهير الفقهاء تعدد الجمعة في البلدة الواحدة إلا للحاجة، لما في الاجتماع من قوة ومنفعة وبركة، ولأن الله يحب ذلك

الاجتماع ويكره التفرق، قال ابن باز: (اعلم وفقك الله أن الذي عليه جمهور أهل العلم تحريم تعدد الجمعة في قرية واحدة إلا من حاجة؛ لأن النبي ﷺ لم يكن يقيم في مدينته المنورة مدة حياته ﷺ سوى جمعة واحدة، وهكذا في عهد خلفائه الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم أجمعين، وهكذا في سائر الأمصار الإسلامية في صدر الإسلام، وما ذلك إلا لأن الجماعة مرغب فيها من جهة الشرع المطهر، لما في اجتماع المسلمين في مكان واحد حال إقامة الجمعة والعيد من التعاون على البر والتقوى وإقامة شعائر الإسلام، ولما في ذلك أيضًا من الائتلاف بينهم والمودة والتعارف والتفقه في الإسلام، وتأسي بعضهم ببعض في الخير، ولما في ذلك أيضًا من زيادة الفضل والأجر بكثرة الجماعة، وإغاظة أعداء الإسلام من المنافقين وغيرهم باتحاد الكلمة وعدم الفرقة)[١].

ومن الخير: تربية الأجيال الناشئة على أهمية المسجد في البناء الاجتماعي لأهل الإسلام، وأنه ركيزة المجتمع

(١) مجموع فتاوى ومقالات ابن باز ١٢/٣٥١.

المسلم، فيتنشؤون على عمارته بالذكر والصلاة وتلاوة القرآن، ويتربون على حضور مجالس الذكر والتبكير إلى الصلوات والاجتماع على الخير والهدى، ويرون -كل أسبوع- الناس مجتمعين في أبهى حلة وأجمل هيئة لأجل الصلاة واستماع الخطبة وذكر الله، فتصبح هذه الشعيرة معظمة في قلوبهم مبجلة في نفوسهم.

ومن الخير: اجتماع المسلمين للدعاء، فهو أرجى للقبول[1]، ولذلك جاء في حديث خروج النساء إلى صلاة العيد قوله ﷺ: ويشهدن دعوة المسلمين[2].

فإذا دعوا لأنفسهم عاد النفع على الحاضرين، وإذا دعوا لغيرهم كان أحرى بالقبول عند الله، فيكون في دعائهم طلب الغيث فيغاثوا، وطلب الرزق فيرزقوا، وطلب النصر على الأعداء فينصروا، كما مر بك فيما مضى من الكتاب؛ أن قادة الجيوش المسلمة يرتقبون صلاة الجمعة في الأمصار لتكون لهم مددًا في حربهم على أعدائهم، وذكرت لك مثالًا على ذلك ما وقع لألب

(١) فتح ذي الجلال والإكرام ٢/ ٣٩٩.

(٢) البخاري (٣٢٨) ومسلم (٨٩٠).

أرسلان في معركة ملاذ كرد سنة ٤٦٣هـ، وما فعله صلاح الدين الأيوبي في حطين سنة ٥٨٣هـ.

إن يوم الجمعة يوم الأمة، ويوم المجتمع، ويوم الاجتماع والانتفاع.

۞ ۞ ۞

فضلٌ بين ذكرين

بعد الفراغ من صلاة الجمعة، أباح الله تعالى للناس أن ينتشروا في الأرض ويخرجوا من المسجد ابتغاء فضل الله، ثم أمرهم بالإكثار من ذكر الله وعدم الغفلة عنه، قال تعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ ٱلصَّلَوٰةُ فَٱنتَشِرُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَٱبْتَغُواْ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ وَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة:١٠].

واختلف السلف في معنى الفضل الوارد في الآية[١]:

فمنهم من قال: فضل الله هو الرزق، فيكون المعنى: بعد أن امتنعتم عن الانشغال بالدنيا والتكسب لأجل صلاة الجمعة، فإنكم -إذا فرغتم منها- يؤذن لكم في طلب الرزق والبيع والشراء. وهو قول مقاتل، ويؤثر عن عبد الله بن بسر المازني ﵁ مرفوعًا.

ومنهم من قال: فضل الله في الآية هو طلب العلم.

(١) انظر الأقوال في موسوعة التفسير المأثور ٢١/ ٦٤٤.

وهذا القول منسوب إلى الحسن البصري وسعيد بن جبير ومكحول. وعليه؛ يستحب الاشتغال بالعلم يوم الجمعة بعد انقضاء صلاة الجمعة، فإن ما قبلها لا ينبغي أن يكون إلا لصلاة الجمعة استعدادًا وتهيؤًا وتبكيرًا وإنصاتًا.

ومنهم من قال: فضل الله في الآية ليس أمور الدنيا، بل هو أعمال تعبدية تكون خارج المسجد، كزيارة الأخ في الله وعيادة المريض والإحسان إلى الفقراء ونحو ذلك، مما قد يعد في أبواب الإحسان وفعل الخير، قال ابن عباس رضي الله عنه: (لم يؤمروا بشيء من طلب الدنيا، إنما هو عيادة مريض، وحضور جنازة، وزيارة أخ في الله)، وهو ظاهر صنيع البخاري في صحيحه، حيث أورد حديث سهل بن سعد رضي الله عنه قال: كانت فينا امرأة تجعل على أربعاءَ في مزرعة لها سِلْقًا، فكانت إذا كان يوم جمعة تنزع أصول السلق فتجعله في قدر، ثم تجعل عليه قبضة من شعير تطحنها، فتكون أصول السلق عَرْقه، وكنا ننصرف من صلاة الجمعة فنسلم عليها، فتقرب ذلك الطعام إلينا فنلعقه، وكنا نتمنى يوم الجمعة لطعامها ذلك[١]. وفي هذا

(١) البخاري (٩٤٨).

الأثر الصحيح نص على فعل الصحابة رضي الله عنهم، واستدل ابن رجب به على (استحباب الضيافة يوم الجمعة، خصوصًا لفقراء المسلمين، فإطعام الفقراء فيه حسن مرغب فيه)[1].

وتأمل في حال هذه المرأة، فهي مع ما هي فيه من قلة الزاد وشظف العيش فتأبى إلا أن تفعل خيرًا يوم الجمعة، فتستضيف المصلين بعد انتهائهم من صلاة الجمعة. وهذه عادة من أجمل العادات الاجتماعية يوم الجمعة، ولا يزال يعمل بها بعض المسلمين إلى اليوم، مع تنوع في طريقة الضيافة والتزاور والإكرام.

وعلى أية حال؛ فأنت ترى أن أقوال المفسرين في أعمال ما بعد صلاة الجمعة والمندرجة في قوله تعالى «فضل الله» لا تخرج عن فعل خير؛ من طلب رزق أو طلب علم أو إحسان وعطاء. ومع ذلك فإن الناس أمروا بألا يغفلوا عن ذكر الله ﴿وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

والمقصود أن يوم الجمعة يوم فاضل، قبل الصلاة

---

(١) فتح الباري لابن رجب ٨/ ٣٣٨.

وبعدها وأثناءها، وأن على المؤمن أن ينظم وقته يوم الجمعة على أساس التأدب مع الله تعالى وطاعة أمره والتقرب إليه والعمل بما أرشد إليه، فإذا كان وقتك في يوم الجمعة بهذه الكيفية فسترى انعكاس ذلك على روحك ونفسك وخلقك وسلوكك، بل على أهل بيتك وأسرتك وجيرانك وأهل حيك. وهذا كله من الخير الذي يعود عليك نفعًا.



أعمال جليلة
في الساعات النفيسة

حين يختار الله تعالى زمانًا ويفضله على غيره فهو يفضل العمل فيه على العمل في غيره، كالحال في رمضان وعشر ذي الحجة، ولن يكون الحديث في هذا المبحث عن صلاة الجمعة بذاتها، فإنها من (آكد فروض الإسلام، ومن أعظم مجامع المسلمين، وهي أعظم من كل مجمع يجتمعون فيه وأفرضه سوى مجمع عرفة)[1]. وقد خُصت من بين سائر الصلوات المفروضات بخصائص لا توجد في غيرها: من اشتراط الاجتماع لها، واشتراط الإقامة والاستيطان، والجهر فيها بالقراءة مع أنها في وقت صلاة الظهر وهي سرية، وجاءت النصوص بالوعيد لمن تخلف عنها بغير عذر، فعن أبي الجعد الضمري أن رسول ﷺ قال: «من ترك ثلاث جمع تهاونًا طبع الله على قلبه»[2].

وتفضيل الأعمال في الأزمان المعيَّنة يكون وفقًا لما شرعه الله تعالى وجاء به النبي ﷺ لا وفق أهوائنا

(١) زاد المعاد ١/ ٤٦١.

(٢) أبو داود (١٠٥٢) الترمذي (٥٠٠) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦١٤٣).

ومقترحاتنا الخاصة.

وإن في يوم الجمعة أعمالًا واجبة وأخرى مستحبة جاءت بها الشريعة، ينبغي الاعتناء بها في هذا اليوم، قال ابن القيم عن العمل في يوم الجمعة: (اليوم الذي يستحب التفرغ فيه للعبادة، وله على سائر الأيام مزية بأنواع من العبادات واجبة ومستحبة، فالله سبحانه جعل لأهل كل ملة يومًا يتفرغون فيه لعبادته، ويتخلون فيه عن أشغال الدنيا، فيوم الجمعة يوم عبادة، وهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور، وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان، ولهذا من صح له يوم جمعته وسلم سلمت له سائر جمعته، ومن صح له رمضان وسلم صحت له سائر سنته، ومن صحت له حجته وسلمت صح له سائر عمره، فيوم الجمعة ميزان الأسبوع، ورمضان ميزان العام، والحج ميزان العمر)[1].
وهذه الأعمال هي كما يلي:



(١) زاد المعاد ١/ ٤٩٢.

الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ

الصلاة على النبي ﷺ مستحبة في سائر الأوقات، وفي كل الأيام، لكنها تزداد فضيلتها يوم الجمعة وليلتها، فعن أوس بن أبي أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي». فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض عليك صلاتنا وقد أَرِمت؟ -يعني وقد بليت- قال: «إن الله عز وجل حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء صلوات الله عليهم»[1].

ويبدأ وقت أفضلية «الإكثار» من الصلاة على النبي ﷺ بغروب شمس يوم الخميس ويمتد إلى غروب شمس يوم الجمعة.

---

(١) سبق تخريجه.

قال ابن القيم: (ورسول الله ﷺ سيد الأنام، ويوم الجمعة سيد الأيام، فللصلاة عليه في هذا اليوم مزية ليست لغيره، مع حكمة أخرى؛ وهي أن كل خير نالته أمته في الدنيا والآخرة فإنما نالته على يده، فجمع الله لأمته به بين خير الدنيا والآخرة، وأعظم كرامة تحصل لهم فإنها تحصل يوم الجمعة، فإن فيه بعثهم إلى منازلهم وقصورهم في الجنة، وهو يوم المزيد لهم إذا دخلوا الجنة، وهو عيد لهم في الدنيا، ويوم فيه يسعفهم الله تعالى بطلباتهم وحوائجهم، ولا يرد سائلهم. وهذا كله إنما عرفوه وحصل لهم بسببه وعلى يده، فمن شُكره وحمده وأداء القليل من حقه ﷺ أن يكثر من الصلاة عليه في هذا اليوم وليلته)[(١)].

فالإكثار إذن هو المطلوب يوم الجمعة، لأن المسلم كل يوم يستحب أن يصلي على النبي ﷺ، وهنا يحسُن التنبيه إلى أهمية التدرج في «الإكثار» فمثلًا يصلي عليه مائة ثم في الجمعة التالية مائتين ثم مئات، ثم ألفًا ثم ألفين ثم ألوف وهكذا، وبعض الناس يصلي على

(١) زاد المعاد ١/ ٤٥٩.

النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلتها آلاف المرات، وقد وصل الحال ببعض الناس أنه يصلي على النبي ﷺ عشرة آلاف مرة.

ويمكنك تقسيم وِردك من الصلاة على النبي ﷺ في ساعات الليل والنهار حتى تفرغ منه، فلا يلزم فيه أن يكون دفعة واحدة وفي وقت واحد، وهذا من تيسير الشريعة ورفع الحرج عن الناس.

وفي كيفية الصلاة على النبي ﷺ: يصح الاكتفاء بمطلق الصلاة والسلام، كأن تقول: «اللهم صل وسلم على محمد»، لأن فيه تحقيقًا للصلاة والسلام على النبي ﷺ، فالاكتفاء بذلك يعد امتثالًا لحديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من صلى عليَّ صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات»[(١)]. وامتثالًا للحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من صلى عليَّ واحدة صلى الله عليه عشرًا»[(٢)].

(١) المسند (١١٩٩٨).

(٢) مسلم (٤٠٨).

وإن أحببت الارتقاء والفضل؛ فالصلاة الإبراهيمية كذلك، وهي أفضل صيغ الصلاة على النبي ﷺ، وذلك لأنها الصيغة التي علمها النبي ﷺ أصحابه حين سألوه[1]. وكلها هدى وخير، والحرص على الإكثار هنا أهم من الحرص على الصيغة، لأنه منصوص على فضله في هذا اليوم.

وهذا «الإكثار» من الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة فيه فوائد جمة، مع كونه ذكرًا يسيرًا، يمكن للمرء أن يقوله قاعدًا وقائمًا ومضطجعًا، وماشيًا وراكبًا، ومنفردًا وفي حضرة الآخرين، وفي بيته ومسجده وسيارته وسوقه ومكتبه، فمن فوائده:

أولًا: يربي في قلبك تعظيم شعائر الله، ونحن في أمسِّ الحاجة إلى هذا اللون من التربية، ذلك أنك قصدت بقلبك هذا الأمر، فأكثرت من الصلاة على النبي ﷺ في يوم الجمعة وليلتها متحريًا وقوعها في الزمن الفاضل، متبعًا لسنة النبي ﷺ، فهذا من تعظيمك ليوم الجمعة

(١) البخاري (٤٧٨٠) ومسلم (٤٥٠).

أصلًا؛ الذي هو من شعائر الله.

وفيه أيضًا تربية للقلب على تعظيم مقام الرسول ﷺ، فإن المكثر من الصلاة عليه وذكر اسمه يتأثر قلبه بهذا الاسم فتزداد محبته وإجلاله.

وفيه تربية للقلب على الاعتناء بالأذكار والأوراد؛ لأن المرء لا يلتزم الصلاة على النبي ﷺ إلا إذا كان معظمًا لها ومعتنيًا بها، فيفرغ لها الوقت ويشتغل بها عما سواها، وكل ذلك داخل في تعظيم شعائر الله، قال الله تعالى: ﴿وَمَن يُعَظِّمْ شَعَـٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

ثانيًا: الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ طريق لقبول الدعاء، فكما تعلم أن من أسباب قبول الدعاء عند الله تعالى: الصلاة على النبي ﷺ، فإذا كنت مكثرًا من الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة الذي فيه استحباب الدعاء وفيه الساعة العظيمة، وبدأت من ليلة الجمعة تصلي على النبي ﷺ ثم فعلت ذلك أثناء النهار؛ فأنت تقدم بين يدي دعائك هذه العبادة الجليلة، فيكون دعاؤك أحرى بالإجابة ويكون مظنة القبول إن شاء الله، وفي الحديث عن فضالة

بن عبيد ﵁ قال: سمع رسول الله ﷺ رجلًا يدعو في صلاته لم يمجد الله، ولم يصلِّ على النبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «عَجِلَ هذا». ثم دعاه، فقال له أو لغيره: «إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه، ثم يصلي على النبي ﷺ، ثم يدعو بعد بما شاء»[(١)].

ثالثًا: من فوائد الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ إصلاح الحالة النفسية للمصلي، فإن كثرة الصلاة على النبي ﷺ مما يفرح القلب ويكسب الرضا ويدفع الهم، فعن أُبي بن كعب ﵁ قال: قلت: يا رسول الله إني أكثر الصلاة عليك، فكم أجعل لك من صلاتي؟ فقال: «ما شئت». قال: قلت: الربع، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: النصف، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قال: قلت: فالثلثين، قال: «ما شئت، فإن زدت فهو خير لك». قلت: أجعل لك صلاتي كلها قال: «إذًا تُكفى همك، ويُغفر لك ذنبك»[(٢)]. فكفاية الهم وإصلاح المعاش وإصلاح الحالة النفسية وحصول ما تزول به

(١) الترمذي (٣٤٧٧) وأبو داود (١٤٨١)

(٢) الترمذي (٢٤٥٧).

الأحزان والهموم وانبعاث الطمأنينة ومشاعر الرضى والارتياح، كل ذلك مطلب إنساني وحاجة من الحاجات المهمة في الحياة، وكلما أكثر الإنسان من الصلاة والسلام على النبي ﷺ حصل له من ذلك بقدره، قال تقي الدين ابن تيمية في شرحه لمعنى كلام أبي بن كعب: (أي أجعلُ دعائي كله صلاةً عليك؟ قال: «إذًا تُكفى همك ويغفر لك ذنبك» لأن من صلى على النبي ﷺ صلاةً صلى الله عليه بها عشرًا، ومن صلى الله عليه كفاه همه وغفر له ذنبه)[1].

رابعًا: وهو تابع لما قبله، وهو مغفرة الذنوب وتكفير الخطايا ومحو السيئات، لحديث أبي بن كعب رضي الله عنه السابق: «ويغفر لك ذنبك»، ولحديث أنس بن مالك رضي الله عنه السابق أيضًا: «من صلى عليَّ صلاة واحدة، صلى الله عليه عشر صلوات، وحط عنه عشر خطيئات». فيكون الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ يوم الجمعة وليلتها مظنة لذلك، فيصير يوم الجمعة بذلك موسمًا من مواسم مغفرة الذنوب، لمن فطن لذلك وعمل به، ونسأل الله من فضله. فأنت على موعد مع موسم من مواسم المغفرة والرحمة.

(١) نقله عنه ابن القيم في جلاء الأفهام ص٧٦.

خامسًا: الإكثار من صلاة الله عليك، فكما مر بك سابقًا في الحديث أنه من صلى على النبي ﷺ مرة صلى الله عليه بتلك المرة عشر صلوات، وهذا فضل كبير؛ أن يذكرك الله تعالى باسمك ويصلي عليك، ويتردد اسمك في الملكوت الأعلى، قال المظهري: (اعلم أن عادة الملوك والكرماء إعزاز من يعز أحبابهم وتشريف من شرف أخلَّاءهم؛ فالله تعالى مالك الملوك أكرم الكرماء، وهو أحق بهذا الكرم؛ فإنه من يشرف حبيبه ونبيه محمدًا ﷺ بأن يصلي عليه، يجد من الله الكريم الرحمة وحط الذنوب ورفع الدرجات)[1].

إذن؛ فمقتضى صلاة الله عليك أن يسبغ عليك بكرمه ورحمته وفضله، وأن يثني عليك، قال ابن القيم: (فمن أثنى على رسول الله ﷺ جزاه الله من جنس عمله، بأن يثني عليه ويزيد تشريفه وتكريمه)[2].

ومن نحن حتى يذكرنا الله في عليائه بأسمائنا ثم يثني علينا! هذا والله الشرف والعز.

---

(١) المفاتيح ٢/ ١٦٢.

(٢) جلاء الأفهام ص١٧٣.

فكيف إذا صليت على النبي ﷺ مئات المرات أو آلاف المرات!

سادسًا: تدريب النفس على الالتزام والضبط، فإنك إذا التزمت الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ كل جمعة، ومرت بك الشهور والأعوام على هذا الحال، فإنك تُربي نفسك على قوة الإرادة وكبح جماح النفس، وعلى التغلب على الشهوات المانعة من الالتزام، وعلى تأجيل الرغبات إلى حين الانتهاء من وردك، وهذا أثر تربوي مهم، جعله الله في عباداتنا، ويمكن أن يعد الإكثار من الصلاة على النبي ﷺ والالتزام بذلك من وسائل التربية الذاتية، ولكن ينبغي أن نتدرج في الإكثار كما أسلفت، وأن نحسن النية.

وهذه الفوائد والثمرات تأتي تصديقًا لما سبق الحديث عنه من فضل يوم الجمعة على الإنسان في نفسه، والله عليم حكيم.



صلاة الفجر في جماعة

كما هو معلوم أن يوم الجمعة يبدأ من غروب شمس الخميس لا من طلوع فجر الجمعة، لكن ربما سهر البعض حتى أدى سهره لإضاعة صلاة الفجر في جماعة في ذلك اليوم، فيقع في خطرين: الأول إضاعة فضل هذه الصلاة، والثاني المقدمة الخاطئة ليوم عظيم.

وقد جاء الفضل مخصوصًا لصلاة الفجر يوم الجمعة جماعة في الحديث الذي رواه ابن عمر رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أفضل الصلوات عند الله صلاة الصبح يوم الجمعة في جماعة»[1]. وفي رواية أخرى فيها في سندها مقال: «وما أحسب شهدها منكم إلا مغفورًا له»[2]. وعليه فينبغي الاستعداد لصلاة الفجر جماعة بالنوم المبكر ونحو ذلك

---

(١) حلية الأولياء ٧/ ٢٠٧، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٥٦٦).

(٢) مسند البزار (١٢٧٩).

من وسائل الاستعداد، حتى ينال المرء فضل هذه الصلاة بتلك الصفة.

ويستحب أن يقرأ الإمام في صلاة الفجر يوم الجمعة بسورتي السجدة والإنسان، اقتداء بفعل النبي ﷺ كما ذكر ذلك عدد من الصحابة رضي الله عنهم[1].

وهاتان السورتان فيهما من المعاني الكلية، وفيهما التذكير بالمبدأ والمعاد واليوم الآخر والجنة والنار، وتتطلب من المصلين وقوفًا خاشعًا بين يدي الله، يتدبرون كلام الله وتكون قلوبهم قابلة لهذا التدبر، وهذا يلزم منه الاستعداد الجيد لصلاة الفجر تلك.

إن يوم الجمعة يعيد ترتيب حياتنا، ويصنع فينا الجدية والاهتمام، ويربينا على الفضائل، والمقصود أن من يستشعر عِظم صلاة الفجر في جماعة يوم الجمعة، لا شك أنه سيعمل على وقف البطالة واللهو والغفلة ليلتها، لينال الأجر العظيم والفضائل الجليلة، وقد كان المسلمون

(١) الترمذي (٥٢٠) وأبو داود (١٠٧٤) والنسائي (٩٥٥) وابن ماجه (٨٢١).

يستشعرون عظمة هذا الوقت الليلي، قال ابن القيم: (إن أكثر أهل الفجور ليحترمون يوم الجمعة وليلته، ويرون أن من تجرأ فيه على معاصي الله عجل الله عقوبته ولم يمهله، وهذا أمر قد استقر عندهم وعلموه بالتجارب، وذلك لعظم اليوم وشرفه عند الله)[١].

وإذا تأملت هذا المعنى وجدت أن تعظيم يوم الجمعة وتحري فضائله يقتضي نزوع أهل الإيمان نحو إصلاح سلوكهم ليلة الجمعة وبعدهم عن مواطن اللهو والغفلة، وهذا يعد فاتحة لهدايات الجمعة وأثرها على المرء، وقد نقل أبو طالب المكي عن بعض السلف أنه قال: (أوفر الناس نصيبًا يوم الجمعة من راعاها وانتظرها من الأمس، وأَخسُّ الناس منها نصيبًا من يصبح يوم الجمعة فيقول: أيش اليوم)[٢].

❁ ❁ ❁

---

(١) زاد المعاد ١/ ٤٣.

(٢) قوت القلوب ١/ ١٢٧.

التبكير إلى صلاة الجمعة

أي الخروج من البيت إلى المسجد لصلاة الجمعة في «وقت مبكر»، وقد نصت الأدلة على هذه السنن المستحبة، منها:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم الجمعة كان على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول، فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر، ومثل المهجِّر كمثل الذي يهدي البدنة، ثم كالذي يهدي بقرة، ثم كالذي يهدي الكبش، ثم كالذي يهدي الدجاجة، ثم كالذي يهدي البيضة»[١].

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة غسل الجنابة ثم راح فكأنما قرب

---

(١) البخاري (٩٣٩) ومسلم (٨٥٠).

بدنة، ومن راح في الساعة الثانية فكأنما قرب بقرة، ومن راح في الساعة الثالثة فكأنما قرب كبشًا أقرن، ومن راح في الساعة الرابعة فكأنما قرب دجاجة، ومن راح في الساعة الخامسة فكأنما قرب بيضة، فإذا خرج الإمام حضرت الملائكة يستمعون الذكر»[1].

ففي هذين الحديثين المتفق عليهما الدليل على استحباب «التهجير» وهو التبكير إلى الصلاة[2]، المسبوق بغسل كامل كغسل الجنابة.

ومعنى قوله «فكأنما قرب بدنة، بقرة..» أي كأنه تصدق بها متقربًا إلى الله تعالى[3].

فكلما بكَّر المرء في ذهابه إلى المسجد لصلاة الجمعة، وكان قد اغتسل قبل ذلك غسلًا كاملًا، كان أجره أكبر من أجره لو تأخر، كالفرق بين التصدق بالبدنة والتصدق بالبقرة والتصدق بالكبش والتصدق بالدجاجة والتصدق بالبيضة، وميزان ذلك الوقت الذي خرج فيه.

---

(١) البخاري (٨٩١) ومسلم (٨٥٠).

(٢) المنهاج ٦/ ١٤٥.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢/ ٣٦٦.

وساعات النهار ثنتا عشرة ساعة، قال ابن رجب: (ظاهر الحديث يدل على تقسيم يوم الجمعة إلى ثنتي عشرة ساعة، وأن الخطبة والصلاة يقعان في السادسة منها)[1]. فكل ساعة يخرج فيها المرء لصلاة الجمعة يكون لها ما يكافئها من الأجور، فإذا خرج في الساعة الأولى بعد طلوع الشمس فكأنما تصدق بناقة أو بعير، وإذا خرج في الساعة الثانية ضحى فكأنما تصدق ببقرة، وإذا خرج في الساعة الثالثة فكأنما تصدق بكبش أقرن، وإذا خرج في الساعة الرابعة فكأنما تصدق بدجاجة، وإذا خرج في الساعة الخامسة فكأنما تصدق ببيضة، فيخرج الإمام للخطبة في الساعة السادسة، فيتوقف حساب أجر الصدقة للذاهب بعد خروج الإمام، وتتوقف الملائكة عن الكتابة لتستمع إلى خطبة الإمام.

متى تبدأ ساعات التبكير إلى صلاة الجمعة؟

اختلف العلماء في بدء ساعات التبكير إلى صلاة الجمعة، هل تبدأ بطلوع فجر الجمعة أم تبدأ بطلوع الشمس؟

---

(١) فتح الباري لابن رجب ٨/ ١٠٠.

فإذا كانت تبدأ من طلوع الفجر، فهذا يعني أنها تبدأ من أذان صلاة الفجر، وإذا كانت تبدأ من طلوع الشمس فهذا يعني أنها تبدأ من شروقها بعد الفجر بساعة تقريبًا، قال ابن رجب: (ثم اختلفوا؛ هل أولها من طلوع الفجر، أو من طلوع الشمس؟

فقالت طائفة: أولها من طلوع الفجر، وهو ظاهر مذهب الشافعي وأحمد. واستدلوا بقوله: «إذا كان الجمعة، كان على أبواب المسجد ملائكةٌ يكتبون الناس الأول فالأول» وظاهره: أن ذلك يكون بعد طلوع الفجر.

وقالت طائفة: أولها من طلوع الشمس، وحكي عن الثوري وأبي حنيفة ومحمد بن إبراهيم البوشنجي، ورجحه الخطابي وغيره، لأن ما قبله وقت للسعي إلى صلاة الفجر. ورجح هذا القول عبد الملك بن حبيبٍ المالكي. وهؤلاء حملوا الساعات على ساعات النهار المعهودة.

وهو الظاهر المتبادر إلى الفهم)[1].

---

(١) فتح الباري لابن رجب ٨/ ٩٤.

ويرجح ابن عثيمين أيضًا القول الثاني، فيقول: (فإذا قال قائل: ما هذه الساعات؟ هل تقدر بالتساوي أم ماذا؟ فالجواب: تقدر بالتساوي لأن هذا هو الأصل، فيقسم ما بين طلوع الشمس إلى مجيء الإمام خمسة أقسام: القسم الأول هو الساعة الأولى، والثاني الثانية، والثالث الثالثة والرابع الرابعة والخامس الخامسة)[1].

وفي حديث أبي هريرة ﵁ خبر عن أحوال طائفة من الملائكة يوم الجمعة، حيث تكون على أبواب المساجد، لتدوين القادمين على المساجد حسب ترتيب قدومهم، «على كل باب من أبواب المسجد ملائكة يكتبون الأول فالأول»، ثم إذا حضر الإمام طوت صحفها وجلست تستمع إلى الخطبة مع الناس «فإذا جلس الإمام طووا الصحف وجاءوا يستمعون الذكر»، فقد يكون اسمك في أول القائمة المدونة، فتخيل أنك حين تدخل المسجد أول الناس، فإنه سيُكتب اسمك في الصحيفة: «فلان أول من حضر الجمعة»، وترفع هذه الصحيفة إلى الله ﷻ. وهذا فيه حث على السباق والمنافسة على الأولية، فتأمل جيدًا!

(١) التعليق على صحيح مسلم ٤/ ٤٧٤.

وقد يكون اسمك في وسطها، وقد يكون في آخرها، أما إذا كان قدومك بعد قدوم الإمام فلن يكون لك محل في تلك القوائم النيرة، وسيفوتك هذا الفضل الكبير، فما الحال إذا كان ديدن المرء أن يكتب في أول القائمة، الأول أو الثاني وقريبًا من ذلك! لا شك أن ذلك دليل على عمارة القلب بتعظيم شعائر الله، ولا شك أن هذا توفيق من الله له، لأن هذه الأسماء التي ترفعها الملائكة سيبنى عليها مكانك من الجلوس في حضرة الرب ﷻ في الجنة، كما في أثر ابن مسعود الذي سبق نقله، وسأعيده هنا، قال ﷺ: «سارعوا إلى الجُمَع، فإن الله ﷻ يبرز إلى أهل الجنة في كل جمعة في كثيب من كافور، فيكونون منه من القرب على قدر تسارعهم إلى الجمعة، فيحدث الله ﷻ لهم من الكرامة شيئًا لم يكونوا رأوه قبل ذلك، ثم يرجعون إلى أهليهم فيحدثونهم بما أحدث الله لهم». قال: ثم دخل عبد الله المسجد، فإذا هو برجلين. فقال عبد الله: «رجلان، وأنا الثالث. إن يشأ الله يبارك في الثالث»[1]. والله تعالى غني عن كتابة الملائكة وعن تدوين الأسماء،

(١) سبق تخريجه.

ولكنه يريد أن ترى بنفسك يوم القيامة توثيق أعمالك، فلا تعترض على أحد سبقك أو على نعيم فاتك، وأن يكون هذا الخير محفزًا لك للمبادرة والتبكير

ثم ما هو حال أولئك الذين اختاروا أن تكون أسماؤهم في ذيول القوائم وأواخر الدواوين، والنبي ﷺ يقول: «لا يزال قوم يتأخرون حتى يؤخرهم الله»[1].

وأشنع من هؤلاء: الذين رضوا بألا يكون لهم اسم في دواوين الملائكة، أو مكان في القرب من حضرة الرب ﷻ! غبنٌ عظيم وخسارة فادحة لأجل ساعات لهو أو غفلة أو كسل أو شغل يمكن تأخيره وتأجيله.

وابن عثيمين يعظك فيقول: (ولو أننا أوقفنا على أبواب الجامع إبلًا وبقرًا وكباشًا ودجاجًا وبيضًا، وقلنا: الذي يأتي في الساعة الأولى نعطيه بعيرًا، والذي يأتي في الثانية نعطيه بقرة، وفي الثالثة كبشًا أقرن، وفي الرابعة دجاجة، وفي الخامسة بيضة؛ لأسرع الناس إلى المسجد، وربما يبيتون ليلتهم وقبل ليلتهم أيضًا؛ لأنهم سيأخذون

(١) مسلم (٤٣٨).

بدنة أو بقرة. بنو آدم -سبحان الله- يحبون العاجلة ويذرون الآخرة، يعني: لو فرض هذا الأمر وأعطيناه بعيرًا إلى متى يستمتع بها؟! ربما تموت قبل أن يصل إلى بيته وتفوته، وقد تنكسر أيضًا ولا ينتفع بها، ومع ذلك في ظني أنهم سيتبادرون إلى الساعة الأولى.

وأما بدنة الآخرة التي تكون يوم القيامة ويجدها الإنسان باقية، ثم يجدها أيضًا أحوج ما يكون إليها؛ لأنه في ذلك الوقت الإنسان محتاج إلى الثواب، يتمنى أن يكون له حسنة واحدة تزيد في ثوابه وأجره، ومع ذلك يهملها كثير من الناس، تجده جالسًا في مجالس قد تكون مجالس لغو ولهو قريبة من المسجد، ولكن لا يحضر، وهذا حرمان عظيم، وهذا جارٍ من طلبة العلم.

لكن الشيطان يسول للإنسان، ويجعله يتراخى، ويقول: أنا إذا ذهبت إلى المسجد صليت ركعتين أو أربعًا أو ستًا أو ما أشبه ذلك وقرأت الكهف وقرأت ما تيسر ماذا أصنع؟ نقول: يا أخي، عَوِّد نفسك، هناك أناس عوام يأتون مبكرين، من طلوع الشمس، وما شاء الله عليهم يقرؤون، وإذا ملُّوا صلُّوا، وإذا ملُّوا قرؤوا، وإن كان فيهم

نوم ناموا، ولا بأس أن ينام الإنسان في هذا في المسجد قبل أن يأتي الإمام، ينام نصف ساعة ويكفيه)[1].

والشيخ ابن عثيمين ﵀ أشار إلى وقوع هذا من بعض طلاب العلم، ذلك أن بعضهم يخبر أنه ينشط للقراءة والبحث صبيحة الجمعة، فأحيانًا يستجيب لذلك النشاط ويفوته أجر التهجير والتبكير، وأكثرهم متيقظ القلب، قد خبر ألاعيب الشيطان، فيعرف أن هذا النشاط من الشيطان ليصده عن فضلٍ يفوت وقته؛ بالسعي إلى فضل يمكن تأجيله وإدراكه، ونعوذ بالله من الشيطان وهمزه ونفخه ونفثه.

وإذا دخلت المسجد لصلاة الجمعة استشعر حضور الملائكة الكرام، الذين من أهم سماتهم حب المساجد وحب مجالس الذكر وحب سماع القرآن، واستشعر ما تجلبه معها من السكينة والبركة، وتالله إن المسجد في ضحى الجمعة لبقعة مباركة مجللة بالسكينة والوقار والبركات، فهنيئًا لمن يغترف منها كل جمعة.

(١) التعليق على صحيح مسلم ٤/ ٤٧٤.

وأعظم فضل وَرَد في التبكير ما رواه أوس بن أوس رضي الله عنه حيث قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من غسل واغتسل يوم الجمعة، وبكر وابتكر، ومشى ولم يركب، فدنا من الإمام، فاستمع ولم يلغ، كان له بكل خطوة عمل سنة أجر صيامها وقيامها»[1]. والحديث صححه جمع من أهل العلم[2]، فصححه الحاكم على شرط الشيخين وحسن أسانيده النووي، وقال ابن عثيمين: (الحديث من حيث الإسناد لا بأس به ولا مطعن فيه).

لكن هذا الفضل مقيد بعدد من الأمور مع التبكير:

أولها قوله: «من غسَّل واغتسل» والاغتسال معروف، وقد سبق التقيد به في فضل التبكير في الأحاديث السابقة.

و«غسل» فيها ثلاثة أقوال[3]:

القول الأول: غسل بمعنى اغتسل، فتكون من باب التأكيد.

---

(١) المسند (١٦١٧٣) أبو داود (٣٤٥) الترمذي (٤٩٦) النسائي (١٣٨١).

(٢) المستدرك (١٠٤٢)، صحيح الجامع (٦٤٠٥)، المجموع ٤/ ٥٤٣، اللقاء الشهري ٦/ ٧٤.

(٣) انظر: معالم السنن ١/ ١٠٨، الكاشف عن حقائق السنن ٤/ ١٢٦٧.

القول الثاني: غسل يعني غسل الرأس خاصة، وذلك لأن العرب لهم لِمَمٌ، وكانوا يسدلون شعورهم، وفي غسلها مؤونة وجهد، فأفرد غسل الرأس من أجل الاعتناء بغسلها، لأنها بهذا الوصف معرضة للاتساخ والشعث. فيكون المعنى: من غسل رأسه جيدًا واغتسل لبدنه كاملًا.

القول الثالث: غسل أي واقع زوجه، ويكون أيضًا ألجأها إلى الاغتسال، فإذا فعل ذلك انكسرت شهوته، فكان سببًا في حفظ بصره وهو ذاهب إلى المسجد، وتهيأت نفسه للعبادة، وصان نفسه عن الخواطر التي تمنعه من التوجه بكليّته إلى الله تعالى.

وثانيها قوله: «ومشى ولم يركب»، أي ذهب ماشيًا إلى المسجد، ولم يذهب راكبًا.

وثالثها قوله: «ودنا من الإمام» أي اقترب من الإمام، في الصفوف الأولى، فيكون مكان الإمام في المسجد هو النقطة التي يتبادر إلى الجلوس عندها المصلون يمنة ويسرة.

ورابعها قوله: «فاستمع ولم يلغُ» أي استمع إلى الخطبة، ولم ينشغل بأي شيء يمكن أن يصرفه عن

الاستماع للخطبة، ولو كان يسيرًا، فهذا مقام مبجل ومجلس عظيم، تجلس فيه الملائكة وتستمع للذكر، ويستجاب فيه الدعاء، وهو ركن الجمعة وخاصتها.

فهذه القيود أربعة: فإذا بكر الرجل إلى الجمعة بعد الغسل، ثم خرج حين تطلع الشمس ماشيًا إلى المسجد، ودنا من الإمام في الصف الأول، واستمع إلى الخطبة ولم يشتغل بغيرها، استحق -بفضل الله- هذا الثواب العظيم: بكل خطوةٍ أجر سنة؛ قيامها وصيامها.

فلو كانت خطواته إلى المسجد مئة خطوة، كتب له أجر مائة سنة صيامها وقيامها. وهذا فضل عظيم. بل لا يوجد في النصوص الشريفة فضل أعظم من هذا، وقد نقل السخاوي عن شيخه الحافظ ابن حجر العسقلاني، وقال حدثنا به كذلك غير مرة، أنه سمع شيخه الحافظ زين الدين العراقي؛ أخبره أنه سمع ابنه أبا زرعة العراقي يقول: (لا أعلم حديثًا كثير الثواب مع قلة العمل أصح من حديث أوس بن أوس)[1]. فيا لله كم من المئين من

(١) فتح المغيث ٤/ ١٨٣.

السنوات تكتب لأولئك المبكرين المجتهدين!

لا تستغرب هذا الأجر وتظن أنه في متناول الجميع، وانظر كم الذين يوفقون إليه! إنهم قليلون رغم قلة العمل، ذلك أنه لا يهدى إلى الفضائل إلا من اختاره الله لها وكان لائقًا بها، فنسأل الله من فضله وأن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته.

وقد كانت أحوال السلف في هذا على قدر عالي من الاهتمام، قال أبو طالب المكي: (كثير من السلف من كان يصلي الغداة يوم الجمعة في الجامع ويقعد ينتظر صلاة الجمعة؛ لأجل البكور، ليستوعب فضل الساعة الأولى، ولأجل ختم القرآن، وعامة المؤمنين كانوا ينحرفون من صلاة الغداة في مساجدهم فيتوجهون إلى جوامعهم.

ويقال: أول بدعة حدثت في الإسلام ترك البكور إلى الجوامع.

وكنت ترى يوم الجمعة سحرًا وبعد صلاة الفجر: الطرقات مملوءة من الناس يمشون في السرج يزدحمون

فيها إلى الجامع كما ترون اليوم في الأعياد)[١].

وفي الحديث فائدة عجيبة تعود على أهل البيت الواحد، في قوله: «من غسل واغتسل» على القول بأنها مواقعة الزوجة، فإن ذلك لا يتأتى غالبًا إلا بالأنسة والانبساط، وفي ذلك ما فيه من ترميم البناء الزوجي، فيكون يوم الجمعة يوم إصلاح للبيوت وتجديد للحياة الزوجية والعلاقات البيتية، وكأن يوم الجمعة يقول لنا: سأصلح لكم ما تهشم من بيوتكم، وسأجدد لكم ما انطفأ من وهجكم، وسأنشر البهجة والانبساط في حياتكم؛ إذا اقتديتم بنبيكم ﷺ وحرصتم على اتباع سنته واهتديتم بهديه. قال عبد الرحمن بن الأسود التابعي الثقة: (كان يعجبهم أن يواقعوا النساء يوم الجمعة؛ لأنهم قد أمروا أن يغتسلوا، وأن يغسلوا)[٢].

فكما أن للجمعة تأثيرًا على الصعيد الشخصي، فإن لها تأثيرًا على صعيد المجتمعات والأمة، بتهيئة البيوت للإصلاح والترميم الاجتماعي. فالحمد لله.

---

(١) قوت القلوب ١/ ١٢٧.

(٢) فتح الباري لابن رجب ٨/ ٩٠.

التهيؤ لصلاة الجمعة

مر بك -أيها القارئ الكريم- أن السعي في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة:٩] يشتمل على معنى الاهتمام بها والتهيؤ والاستعداد لها والذهاب إلى المسجد، والاستعداد والتهيؤ لصلاة الجمعة يكون بعدد من الأمور، يمكن تلخيصها فيما يلي:

أولها: النظافة والاغتسال.

وثانيها: لبس أحسن الثياب.

وثالثها: التطيب والاستياك.

فهذه من السنن المستحبة لصلاة الجمعة، ووقتها قبل الخروج إلى الصلاة.

أما الاغتسال فقد مر بك طرف من فضله في يوم

الجمعة، فهو مع التبكير يدوَّن اسم فاعله في صحف الملائكة الكرام. وهو مع التبكير والمشي والدنو من الإمام والاستماع له يحصل المصلي على ثواب السنة صيامها وقيامها.

وقد وردت عدة أحاديث في فضل التهيؤ لصلاة الجمعة، والاستعداد لها، منها:

- حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من اغتسل، ثم أتى الجمعة، فصلى ما قُدر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام»[١].

- حديث سلمان الفارسي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا يغتسل رجل يوم الجمعة، ويتطهر ما استطاع من طهْر، ويدَّهن من دهنه، أو يمس من طيب بيته، ثم يخرج فلا يفرق بين اثنين، ثم يصلي ما كتب له، ثم ينصت إذا تكلم الإمام؛ إلا غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى»[٢].

---

(١) مسلم (٨٥٧).

(٢) البخاري (٨٩٣)

- حديث أبي سعيد الخدري وأبي هريرة رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من اغتسل يوم الجمعة، ولبس من أحسن ثيابه، ومس من طيبٍ إن كان عنده، ثم أتى الجمعة فلم يتخطَّ أعناق الناس، ثم صلى ما كتب الله له، ثم أنصت إذا خرج إمامه حتى يفرغ من صلاته كانت كفارة لما بينها وبين جمعته التي قبلها»[(١)].

- حديث عمرو بن سليم الأنصاري قال: أشهد على أبي سعيد قال: أشهد على رسول الله ﷺ قال: «الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم، وأن يستنَّ وأن يمس طيبًا إن وجد»[(٢)].

ففي هذه الآثار دليل على استحباب التطهر وتنظيف البدن استعدادًا لصلاة الجمعة، قال ابن رجب: (وقوله «ويتطهر ما استطاع من طهر» الظاهر: أنه أراد به المبالغة في التنظُّف وإزالة الوسخ، وربما دخل فيه تقليم الأظفار

---

(١) المسند (١١٧٦٨) أبو داود (٣٤٣) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٠٦٤).

(٢) البخاري (٨٩٠).

وإزالة الشعر من قص الشعر وحلق العانة ونتف الإبط؛ فإن ذلك كله طهارة، ويدل عليه ما خرجه البزار[1] من حديث أبي الدرداء عن النبي ﷺ قال: «الطهارات أربعٌ: قص الشارب، وحلق العانة، وتقليم الأظفار، والسواك»[2].

وقد اختلف العلماء في الاغتسال يوم الجمعة قبل الصلاة:

فبعضهم يرى وجوبه وإثم تاركه.

وبعضهم يرى استحبابه ولا إثم على تاركه.

وبعضهم يفصل المسألة فيقول: من احتاج للاغتسال لوجود رائحة يحتاج إلى إزالتها أو وسخ فهو واجب في حقه، ومن لم يكن كذلك فهو مستحب له[3]. فالأمر يدور بين الوجوب والاستحباب.

ولا يكتفي المؤمن بالاغتسال والتنظف، بل ويتزين بالاعتناء بشعر رأسه ولحيته، لذلك قال في الحديث:

---

(١) مسند البزار (٤١٤٦) وضعفه الألباني في السلسلة الضعيفة (١٢٧١).

(٢) فتح الباري لابن رجب ٨/ ١١٢.

(٣) انظر: زاد المعاد ١/ ٤٦٢.

«ويدهن من دهنه». قال ابن رجب: (والادِّهان هو دهن شعر الرأس واللحية مع تسريحه، وهو الترجل، وقد كان النبي ﷺ يفعله)[1]. وقال ابن حجر: (وفيه إشارة إلى التزين يوم الجمعة)[2]. لأن الدهن يزيل شعث الرأس ويزين لون الشعر.

ثم يطيب بدنه وملابسه، كما في الحديث: «أو يمس من طيب بيته» حتى تزكو رائحته، دون تكلف ما لا يجده. وبعض العلماء يرى التخيير بين الادهان والتطيب في الاستحباب لورود لفظة «أو»، يعني يدهن أو يتطيب. وبعضهم يرى التطيب إن لم يوجد الدهن، وقد أشار ابن حجر إلى ذلك[3]. والمقصود: الحرص على ما يجمله ويعطره.

ويستاك، عملًا بالحديث: «وأن يستنَّ»، لتطيب فمه، فهو مقدم على مناجاة الله ودعائه وتلاوة كلامه، وهو أيضًا سيجلس بين الناس ويتحدث إليهم، فالأدب هو تطييب فمه.

---

(١) فتح الباري لابن رجب ٨/ ١١٣.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٢/ ٣٧١.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٢/ ٣٧١.

ويلبس ثوبًا حسنًا كما في الحديث: «ولبس من أحسن ثيابه»، وأحسنها الثياب البيض[1]، وينبغي الاعتناء بثياب الجمعة، وقد جاء عن النبي ﷺ أنه قال: «ما على أحدكم إن وجد أن يتخذ ثوبين ليوم الجمعة سوى ثوبي مهنته»[2]. والثوبان: الإزار والرداء.

وقد كان هذا معهودًا من فعل النبي ﷺ، لذلك قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه حين رأى حلة سيراء عند باب المسجد: يا رسول الله، لو اشتريت هذه فلبستها يوم الجمعة، وللوفد إذا قدموا عليك. فقال رسول الله ﷺ: «إنما يلبس هذه من لا خلاق له في الآخرة»[3]. فأقره النبي ﷺ على ما ذكره من التجمل بحسن اللباس للجمعة، وإنما امتنع ﷺ من هذه الحلة لإنها كانت حريرًا خالصًا أو أكثرها حرير[4].

فهذا الاستعداد والتطهر والتجمل إذا أعقبه ذهاب المرء

(١) مرقاة المفاتيح ٣/ ١٠٣٣.
(٢) أبو داود (١٠٧٨) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٦٣٥).
(٣) البخاري (٨٩٦).
(٤) فتح الباري لابن رجب ٨/ ١١٦.

إلى المسجد والتزامه الأدب قبل حضور الإمام؛ كان ثوابه أن يغفر الله له ما بين الجمعتين، سواء كانت الجمعة الماضية أو المقبلة، وربما زاد ثلاثة أيام كما في بعض ألفاظ الحديث، لأن الحسنة بعشر أمثالها، فتمحى خطاياه لأسبوع من سجل الذنوب ويسترها الله عليه، وهي الصغائر وليست الكبائر، فإن الكبائر لا يمحوها سوى التوبة الصادقة.

فإذا كان الإنسان هذا حاله دائمًا مع صلاة الجمعة؛ فإن الجمعة بالنسبة له تعد محطة لتكفير السيئات ولستر العيوب.

وهذا الاستعداد والتطهر والتجمل هو من جملة «السعي» المذكور في القرآن، والذي أشرنا إليه فيما سبق، وقد مر بك أقوال العلماء في ذلك، كقول الواحدي: (فاعملوا على المضي إلى ذكر الله؛ من التفرغ له والاشتغال بأسبابه من الطهارة والغسل والتوجه إليه بالقصد والنية)[1]. وقول ابن عطية: (فالقيام والوضوء ولبس الثوب والمشي سعيٌ كله إلى ذكر الله)[2].

---

(١) التفسير البسيط ٢١/٤٥٦.

(٢) المحرر الوجيز ٥/٣٠٩.

وكل هذه الأعمال تقتضي الاستعداد والتهيؤ لها هي بذاتها، فيكون الإنسان أعد ثوبًا لصلاة الجمعة قبلها بوقت كافٍ، ويكون قد أعد طيبًا وسواكًا كذلك، ويكون قد أعد مغتسلًا، ونحو ذلك مما يجعل يوم الجمعة حيًا حاضرًا في قلوب أهل الإيمان.



الاشتغال بالعبادة قبل حضور الإمام

من أهم الآداب المستحبة للمسلم إذا دخل المسجد لصلاة الجمعة إلى أن يصعد الإمام على المنبر أن يشغل ذلك الوقت النفيس بأنواع العبادة لله تعالى، من صلاة وذكر وقراءة للقرآن وصلاة على النبي ﷺ ودعاء وتأمل وتفكر واستغفار وتوبة.

وفي الأحاديث السابقة جاء فضل تكفير السيئات ما بين الجمعتين بالصلاة النافلة قبل حضور الإمام، قال ﷺ: «من اغتسل، ثم أتى الجمعة، فصلى ما قُدر له، ثم أنصت حتى يفرغ من خطبته، ثم يصلي معه، غفر له ما بينه وبين الجمعة الأخرى، وفضل ثلاثة أيام»[1]. و«صلى ما قُدر له» أي صلى ما تيسر له من النوافل؛ ركعتين أو أربعًا أو ستًا أو ثمانيًا أو عشرًا أو أكثر من ذلك، وهي سنة متبعة، قال

(١) سبق تخريجه.

ابن تيمية: (وهذا هو المأثور عن الصحابة؛ كانوا إذا أتوا المسجد يوم الجمعة يصلون من حين يدخلون ما تيسر، فمنهم من يصلي عشر ركعات ومنهم من يصلي اثنتي عشرة ركعة، ومنهم من يصلي ثمان ركعات، ومنهم من يصلي أقل من ذلك)[1].

والبعض يصلي ولا يتوقف حتى يخرج الإمام، مستنًا بقول نبينا ﷺ في الأحاديث السابقة، وبفعل الصحابة ﷺ، قال الشافعي: (أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن ثعلبة بن أبي مالك أنه أخبره أنهم كانوا في زمان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الجمعة يصلون حتى يخرج عمر بن الخطاب)[2]. وقال: (فإذا راح الناس للجمعة صلوا حتى يصير الإمام على المنبر، فإذا صار على المنبر كفَّ منهم من كان صلى ركعتين فأكثر)[3].

ومن العبادات المشروعة في هذا الوقت النفيس: قراءة

(١) مجموع الفتاوى ٢٤/ ١٨٩.

(٢) الأم ١/ ٢٢٧.

(٣) الأم ١/ ٢٢٧.

القرآن، فهو كلام الله تعالى، وهو أعظم الذكر، وللصالحين في هذا مذاهب شتى، فمنهم من يجعل يوم الجمعة يوم الانتهاء من ختمته الأسبوعية لكتاب الله، وهذا مأثور عن السلف، ومنه ما روي عن عبد الله بن مسعود ﷺ أنه كان يختم القرآن في رمضان في ثلاث، وفي غير رمضان من الجمعة إلى الجمعة[1]. فيكون الختم مقدمة للدعاء يوم الجمعة.

ومنهم من يصلي بالبقرة وآل عمران حتى يفرغ منهما لمزيد اعتنائه بهاتين السورتين وليس لاختصاصهما بفضل يوم الجمعة، وبعض الناس يقرأ الجزء والجزئين والثلاثة والأربعة والعشرة، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وبعض الشباب الموفقين يذهبون إلى المسجد في وقت مبكر يتفقون عليه، فيعرضون ما يحفظون من القرآن على بعضهم، مثنى مثنى، حتى يخرج الإمام، فربما راجعوا بعض السور الطوال كاملة. والمقصود أن قراءة القرآن، في صلاة أو بدونها، قبل حضور الإمام أمر مشروع.

---

(١) سنن سعيد بن منصور (١٥٠).

ولا بأس أن يكون مع المرء -إذا غدا مبكرًا إلى المسجد- ما يعينه مثل الماء أو الشاي أو القهوة، أو يستريح قليلًا فينام، يستعين بذلك على طاعة الله، قال ابن عثيمين: (ولا بأس أن ينام الإنسان في المسجد قبل أن يأتي الإمام، ينام نصف ساعة ويكفيه)[١]. والمقصود ألا يطيل النوم، وهذه المعينات مأذون فيها حتى لا يحرم نفسه من التبكير، وليس منها تصفح الشبكة والدخول في مواقع التواصل.

قراءة سورة الكهف

ومنهم من يقرأ سورة الكهف وربما يصلي بها، وبعض العلماء يستحب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة وليلتها لوجود آثار تدل على ذلك، بل قال الشيخ عبد الله الفوزان: (لم أقف على خلاف بين أهل العلم في القول بمشروعية قراءة السورة يوم الجمعة)[٢]. ومن الآثار حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن من قرأ سورة الكهف يوم الجمعة أضاء له من النور ما بين

---

(١) التعليق على صحيح مسلم ٤/ ٤٧٤.

(٢) الأحاديث الواردة في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، ص٦٢.

الجمعتين»[1]. قال الشافعي: (وأحب قراءة الكهف ليلة الجمعة ويومها، لما جاء فيها)[2]. ونص الإمام أحمد على استحبابها يوم الجمعة، وروي عنه أنه كان يقرؤها يوم الجمعة[3].

لكن هذه الأحاديث في تخصيص «يوم الجمعة» بقراءة سورة الكهف مما اختلف أهل العلم بالحديث فيها، فبعضهم يجعلها في درجة القبول صحيحة كانت أو حسنة، كما سبق، وبعضهم يعدها ضعيفة معلولة، كالذهبي وابن باز[4]. لكن ثبوت استحبابها عن الأئمة كالشافعي وأحمد، وتعدد طرق الأحاديث، يدل على قبولها ووجود ما يقويها والعمل بها، لذا يقول الشيخ ابن باز: (جاء في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة أحاديث لا تخلو من ضعف، لكن ذكر بعض أهل العلم أنه يشدُّ بعضها بعضاً وتصلح للاحتجاج).

---

(١) المستدرك (٣٣٩٢)، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٣٦) ويروى موقوفاً، انظر: تفسير ابن كثير ٥/ ١٣٤.

(٢) الأم ١/ ٣٥٥.

(٣) الإنصاف ٥/ ٢٨٢، المغني ٢/ ٦١٠.

(٤) التلخيص للذهبي على المستدرك (٣٣٩٢)، مجموع ابن باز ١٢/ ٤١٥.

وقال: (في ذلك أحاديث مرفوعة يسند بعضها بعضاً، تدل على شرعية قراءة سورة الكهف في يوم الجمعة، وقد ثبت ذلك عن أبي سعيد الخدري ﷺ موقوفاً عليه، ومثل هذا لا يعمل من جهة الرأي، بل يدل على أن لديه فيه سنة)[1].

وبعض المعاصرين - كالشيخ عبد الله الفوزان- يرى أن الالتزام بالمداومة على قراءتها يوم الجمعة يحتاج إلى أدلة أقوى[2].

والخلاصة: تستحب قراءة سورة الكهف يوم الجمعة. فإن داومت على هذا العمل فلك سلف في ذلك، وإن قرأتها يوم الجمعة لكنك لا تداوم على ذلك فأنت مصيب السنة إن شاء الله.

وللحاجة إلى هذا التفصيل في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة أبرزتها لك، واجتهدت في تلخيص هذا المبحث، وأعود إلى المسألة الأصل؛ وهي: «الاشتغال بالعبادة قبل حضور الإمام»، والله أعلم.

---

(١) مجموع ابن باز ١٢/ ٤١٥.

(٢) انظر: الأحاديث الواردة في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة، ص٦٣.

وللمسلم أن يختار برنامجه في حضوره إلى صلاة الجمعة قبل مجي الإمام، فيصلي ما شاء أن يصلي، ويقرأ ما شاء أن يقرأ، ويدعو ما شاء أن يدعو، ويصلي على النبي ﷺ ما شاء أن يصلي، ويذكر الله تعالى ما شاء أن يذكر، فينوع أبواب الأجر، ويطرد الملل، ويحيي السنن المأثورة كالصلاة النافلة قبل الخطبة، فهكذا يكون إحياء السنن.

والاشتغال بالعبادة قبل مجيء الإمام فيه تربية عظيمة، لا سيما إذا جاء المصلي مبكرًا، فهذا الوقت مملوء بأنواع العبادات، فإضافة إلى الأجر المترتب عليها جملة، ففي كل منها أجر خاص، كما جاء عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن -أو تملأ- ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، ...»[1]. فالذكر يملأ ميزان العبد بالأجر الكبير الذي لا يعلمه إلا الله، فإذا أكثر من الذكر نال منه ما نال، في الدنيا والآخرة، ومن ثمرات الذكر ما ذكره الله تبارك وتعالى حيث قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ ذِكْرًا

(١) مسلم (٢٢٣).

كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَـٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ ۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَـٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب:٤١-٤٤]. قال ابن القيم في هذه الفائدة من فوائد الذكر: (الذكر يوجب صلاة الله ﷻ وملائكته على الذاكر، ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح، وفاز كل الفوز، فهذه الصلاة منه ﷻ ومن ملائكته إنما هي على الذاكرين له كثيرًا، وهذه الصلاة منه ومن ملائكته هي سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور، وإذا حصلت لهم الصلاة من الله ﷻ وملائكته وأخرجوا من الظلمات إلى النور فأي خير لم يحصل لهم بذلك؟! وأي شر لم يندفع عنهم؟! فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله!)[1].

والاشتغال بالصلاة جالب للنور، كما في الحديث السابق، قال النووي: (قوله ﷺ «والصلاة نور» معناه أنها تمنع من المعاصي، وتنهى عن الفحشاء والمنكر، وتهدي إلى الصواب، كما أن النور يستضاء به.

(١) الوابل الصيب ص١٧٤.

وقيل معناه أنه يكون أجرها نورًا لصاحبها يوم القيامة.

وقيل لأنها سبب لإشراق أنوار المعارف وانشراح القلب ومكاشفات الحقائق لفراغ القلب فيها وإقباله إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُواْ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾ [البقرة:٤٥].

وقيل معناه أنها تكون نورًا ظاهرًا على وجهه يوم القيامة، ويكون في الدنيا أيضًا على وجهه البهاء؛ بخلاف من لم يصل)[١].

والاشتغال بقراءة القرآن كم فيه من الأجر الكثير! فذلك الرجل الذي جاء مبكرًا وقرأ عددًا من الأجزاء، اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو أكثر، كم فيها من الصفحات؟ أربعين أو ستين أو ثمانين، فيكون قد قرأ عشرات الصفحات من كتاب الله، فيالله كم فيها من الهدايات والمواعظ! وكم فيها من الشفاء والبركة! وكم فيها إصلاح القلب ومناجاة الله بكلامه! وكم فيها من الحسنات؛ إذ كل حرف بعشر حسنات، فيالها من قربة عظيمة وتجارة رابحة

(١) المنهاج ٣/١٠١.

مع الله، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُوا۟ مِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَٰرَةً لَّن تَبُورَ ﴾ [فاطر: ٢٩].

والجلوس في المسجد في حد ذاته عبادة، فهو جلوسٌ في بيت الله تعالى، وفيه فضل كبير، والنبي ﷺ قال: «فإذا صلى لم تزل الملائكة تصلي عليه ما دام في مصلاه: اللهم صل عليه، اللهم ارحمه، ولا يزال أحدكم في صلاة ما انتظر الصلاة»(١)، وفي رواية: «من جلس في المسجد ينتظر الصلاة، فهو في صلاة»(٢). قال ابن رجب: (وليس في هذا الحديث الاشتراط للجالس في مصلاه أن يكون مشتغلًا بالذكر، ولكنه أفضل وأكمل)(٣). فتأمل فضل الجلوس في المسجد مجردًا، فكيف إذا عمر هذا الجلوس بذكر الله وقراءة القرآن والصلوات، فلله الحمد ونسأله من فضله.

والذهاب إلى المسجد مبكرًا يوم الجمعة، والجلوس

---

(١) البخاري (٦٤٧)

(٢) المسند (٢٢٨١٢).

(٣) فتح الباري لابن رجب ٦/ ٤٢.

فيه منتظرًا الصلاة؛ فيه تربية للنفس على الالتزام وقوة الإرادة وكبح جماح النفس وتهذيب الغرائز وتأجيل الرغبات، وتربية على الرباط والتصبر، وعلى المسابقة والمنافسة.

۞ ۞ ۞

الدعاء وتحري ساعة الإجابة

الدعاء من أعمال يوم الجمعة، ومن أهم الأعمال المشروعة والمستحبة فيه، وبعض المحدثين يفردون له بابًا في مصنفاتهم لعظيم شأنه.

وهو كالمكافأة والكرامة لأهل الإسلام على اعتنائهم بيوم الجمعة، كما في حديث جبريل السابق الذي رواه أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه: (فقال جبريل: هذه الجمعة. قلت: وما الجمعة؟ قال: لكم فيها خير. قلت: وما يكون لنا فيها؟ قال: يكون عيدًا لك ولقومك من بعدك، ويكون اليهود، والنصارى تبعًا لكم. قلت: وما لنا فيها؟ قال: لكم فيها ساعة لا يسأل الله عبد فيها شيئًا هو له قَسْم إلا أعطاه إياه، أو ليس له بقَسْم إلا ذُخِر له في آخرته ما هو أعظم منه. قلت: ما هذه النكتة التي فيها؟ قال هي الساعة).

فالدعاء مستحب في يوم الجمعة، ثم هو مجاب إن

شاء الله إذا استوفى شروطه، وهكذا الكرم الإلهي، يحثك الله تعالى على عبادة ما، ثم يثيبك عليها ويكرمك بالإجابة والعطاء، فلله الحمد، ونسأله من فضله.

وأوقات الطاعة يكون الدعاء فيها أقرب وأرجى، لكن النبي ﷺ أخبر عن ساعة تجاب فيها الدعوات، وهذه الساعة جاءت النصوص فيها بألفاظ متنوعة ومتقاربة، ومنها:

- عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ ذكر يوم الجمعة فقال: «فيه ساعة لا يوافقها عبد مسلم -وهو قائم يصلي- يسأل الله تعالى شيئًا إلا أعطاه إياه». وأشار بيده يقللها[1].

- عن أبي بردة الأشعري قال: قال لي عبد الله بن عمر: أسمعتَ أباك يحدث عن رسول الله ﷺ في شأن ساعة الجمعة؟ قلت: نعم. سمعته يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة»[2].

(١) البخاري (٩٤٥) ومسلم (٨٥٢).

(٢) مسلم (٨٥٣).

◀ عن جابر بن عبد الله ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال: «يوم الجمعة ثنتا عشرة -يريد ساعة- لا يوجد مسلم يسأل الله ﷻ شيئًا إلا آتاه الله ﷻ، فالتمسوها آخر ساعة بعد العصر»[1].

◀ عن عبد الله بن سلام ﷺ قال: قلت ورسول الله ﷺ جالس: إنا لنجد في كتاب الله: في يوم الجمعة ساعة لا يوافقها عبد مؤمن يصلي يسأل الله فيها شيئًا إلا قضى له حاجته. قال عبد الله: فأشار إلي رسول الله ﷺ: «أو بعض ساعة»، فقلت: صدقت، أو بعض ساعة. قلت: أي ساعة هي؟ قال: «هي آخر ساعات النهار». قلت: إنها ليست ساعة صلاة، قال: «بلى، إن العبد المؤمن إذا صلى ثم جلس، لا يحبسه إلا الصلاة، فهو في الصلاة»[2].

◀ عن أنس بن مالك ﷺ عن النبي ﷺ قال: «التمسوا

(١) أبو داود (١٠٤٨) النسائي (١٣٨٩) وصححه الألباني في صحيح الجامع (٨١٩٠).

(٢) المسند (٢٣٧٨١) ابن ماجه (١١٣٩) وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٧٠٢).

الساعة التي ترجى في يوم الجمعة: بعد العصر إلى غيبوبة الشمس»[1].

فهذه الآثار كلها في ساعة الجمعة المقبولة الدعاء، وهي وقت قصير وليس بالطويل كما في نص الحديث.

واختلف العلماء بناء على اختلاف ألفاظ الأحاديث في تحديد ساعة الإجابة، وتعددت أقوالهم، وعدَّدها من شرح الحديث كالحافظ ابن حجر والنووي وابن القيم وغيرهم، ومجمل أقوالهم يشمل أغلب نهار الجمعة، حتى إن بعض الصالحين ليتحرى الدعاء في أغلب نهار الجمعة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لأن بعض العلماء يرى فضل الدعاء في سائر الأوقات، قال ابن باز: (وبقية ساعات الجمعة ترجى فيها هذه الإجابة، لعموم بعض الأحاديث الواردة في ذلك، فينبغي الإكثار في يوم الجمعة من الدعاء؛ رجاء أن يصادف هذه الساعة المباركة)[2]. ولكن أقوى القولين هما:

القول الأول: إذا صعد الإمام المنبر إلى أن تنتهي

---

(١) الترمذي (٤٨٩) وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٣٧).

(٢) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ٤٠١/١٢.

الصلاة بالتسليم، للحديث: «هي ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة». وهذا الحديث صحيح أخرجه مسلم. وعليه العمل عند كثيرين من السلف، فعن أبي السوار العدوي، قال: (كانوا يرون أن الدعاء مستجاب ما بين أن تزول الشمس إلى أن تدركك كل الصلاة)[(١)]. قال النووي: (والصحيح بل الصواب ما رواه مسلم، من حديث أبي موسى رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنها ما بين أن يجلس الإمام إلى أن تقضى الصلاة)[(٢)].

القول الآخر: من بعد صلاة العصر إلى غروب الشمس، وخصوصًا الساعة الأخيرة، كما في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ قال: «هي آخر ساعات النهار». وعليه العمل عند كثيرين من السلف، قال الترمذي: (ورأى بعض أهل العلم من أصحاب النبي ﷺ وغيرهم: أن الساعة التي ترجى بعد العصر إلى أن تغرب الشمس، وبه يقول أحمد، وإسحاق. وقال أحمد: أكثر الأحاديث في الساعة التي ترجى فيها إجابة الدعوة أنها بعد صلاة العصر.

---

(١) فتح الباري لابن رجب ٨/ ٣٠٥.

(٢) المنهاج ٦/ ١٤١.

وترجى بعد زوال الشمس)[1]. وقال ابن رجب: (أهل هذا القول منهم من جعل وقت التماسها ما بين العصر إلى المغرب، ومنهم من خصه بآخر ساعات العصر)[2].

ما هو القول الراجح في هذا؟

ابن القيم له تحقيق بديع في المسألة يجمع فيه بين القولين، يقول في ختامه:

(وروى سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الساعة التي تذكر يوم الجمعة: ما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس، وكان سعيد بن جبير إذا صلى العصر لم يكلم أحدًا حتى تغرب الشمس. وهذا القول هو قول أكثر السلف، وعليه أكثر الأحاديث. ويليه القول بأنها ساعة الصلاة، وبقية الأقوال لا دليل عليها.

وعندي أن ساعة الصلاة ساعة ترجى فيها الإجابة أيضًا، فكلاهما ساعة إجابة، وإن كانت الساعة المخصوصة هي آخر ساعة بعد العصر، فهي ساعة معينة

---

(١) الجامع الصحيح ٢/ ٣٦٠.

(٢) فتح الباري لابن رجب ٨/ ٣٠٤.

من اليوم، لا تتقدم ولا تتأخر، وأما ساعة الصلاة فتابعة للصلاة، تقدمت أو تأخرت، لأن لاجتماع المسلمين وصلاتهم وتضرعهم وابتهالهم إلى الله تأثيرًا في الإجابة، فساعة اجتماعهم ساعة ترجى فيها الإجابة.

وعلى هذا، فتتفق الأحاديث كلها، ويكون النبي ﷺ قد حض أمته على الدعاء والابتهال إلى الله في هاتين الساعتين)[1].

فإذا زالت الشمس واقترب موعد صعود الإمام المنبر، توقف المرء عن صلاته وذكره وقرآنه، واستعد لرفع يديه لله ﷻ، طالبًا حاجته أو مستغفرًا من ذنبه، فإذا بدأ الإمام الخطبة توقف عن الدعاء، فإذا جلس الإمام بين الخطبتين دعا هذا المصلي، فإذا دعا الإمام أمن المصلي معه فكانت دعوة له ولغيره، فإذا صلى الإمام دعا المصلي في صلاته فهو وقت إجابة، لا سيما في السجود وبين السجدتين وقبل السلام.

وعلى الأئمة أن يولوا هذا الأمر عنايتهم؛ فيحسنوا

---

(١) زاد المعاد ١/ ٤٨٧.

الدعاء في الخطبة، ويطيلوا السجود للدعاء، فهو مظنة الإجابة، وقد مر بك كم انتفعت الأمة بدعاء الأئمة، ثم إن إطالة أعمال الصلاة من فقه الإمام، لحديث عمار بن ياسر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «إن طول صلاة الرجل وقصر خطبته مئنة من فقهه»[1].

وإذا كان بعد عصر الجمعة تحرى المرء الدعاء في ذلك الوقت، لا سيما قبل الغروب، فيحبس نفسه في المسجد أو في خلوته في بيته أو مكانه الذي هو فيه حينها؛ لتحري الساعة، وكان كثير من السلف رحمهم الله هكذا.

وفي هذا التحري والخلوة تربية للنفس على الصبر، وعلى الدعاء الخاشع، وعلى مناجاة الله عز وجل، وفيه قرب من الله سبحانه وتعالى، وفيه مناجاة وبكاء، وفيه اعتراف بالذنب وإقرار بالعبودية، وفيه خضوع وتذلل لله تعالى، وفيه غسل للذنوب ورفع للحاجات، وهذا ما يحتاجه الإنسان على الأقل مرة في الأسبوع.

أضف إلى ذلك أن الدعاء في نفسه عبودية؛ لأن

---

(١) مسلم (٨٦٩).

الإنسان كلما أكثر الدعاء، كلما اقترب من الله تعالى، وزاد توحيد الله في قلبه فتحقق فيه معنى العبودية وصعد في مدارجها، ولذلك يقول ابن تيمية: (لكن العبد قد تنزل به النازلة فيكون مقصوده طلب حاجته وتفريج كرباته، فيسعى في ذلك بالسؤال والتضرع، ثم يكون في أول الأمر قصده حصول ذلك المطلوب: من الرزق والنصر والعافية مطلقًا، ثم الدعاء والتضرع يفتح له من أبواب الإيمان بالله ﷻ ومعرفته ومحبته والتنعم بذكره ودعائه ما يكون هو أحب إليه وأعظم قدرًا عنده من تلك الحاجة التي همته، وهذا من رحمة الله بعباده، يسوقهم بالحاجات الدنيوية إلى المقاصد العلية الدينية)[1].

وهذا كلام نفيس وعذب، وهو من أحب النصوص التيمية إلى قلبي، وفيه من المعاني الشيء العظيم، ولله الحمد والمنة، ونسأله من فضله.

إن عبادة الدعاء في الجمعة توحيد، وعبودية لله، وقربة إليه، وتربية إيمانية، واستمداد للبركات، ولا تزال الجمعة تفيض علينا من خيراتها وبركاتها بإذن ربها.

---

(١) اقتضاء الصراط المستقيم ٢/ ٣١٤.

المحرومون من الخير

وتركوك قائمًا

من أعظم الحرمان أن ينشغل المرء يوم الجمعة بما لا يفيده فيها، وأن ينشغل عنها باللهو واللعب أو الأعمال المفضولة والمرجوحة، وقد عاب الله على قوم انصرافهم عن الخطبة إلى التجارة واللهو، فقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَوْاْ تِجَٰرَةً أَوْ لَهْوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمًا ۚ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [الجمعة:١١].

وكان النبي ﷺ وأصحابه الأجلاء يعيشون حياة مكشوفة للناس، مسطورة في القرآن، وكانت الآيات تتنزل ببعض فعالهم وماجرياتهم في صدر الإسلام بغرض التوجيه والتصويب، وكانت الأمة لا تزال في ميدان التربية والتوجيه والتعليم، فيقدر الله أمورًا تكون فيها الدروس والعبر للأمة طول حياتها.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (بينما نحن نصلي مع

النبي ﷺ إذ أقبلت عير تحمل طعامًا، فالتفتوا إليها حتى ما بقي مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلًا، فنزلت هذه الآية)[1]. وفي لفظ مسلم: (إلا اثنا عشر رجلًا، فيهم أبو بكر وعمر).

وعن أبي مالك قال: (قدم دحية بن خليفة بتجارة زيت من الشام والنبي ﷺ يخطب يوم الجمعة، فلما رأوه قاموا إليه بالبقيع، خشوا أن يُسبقوا إليه، فنزلت الآية)[2].

وفي رواية أخرى عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: كان الجواري إذا نكحوا، كانوا يمرون بالكَبَر والمزامير، ويتركون النبي ﷺ قائمًا على المنبر وينفضون إليها، فأنزل الله الآية)[3].

وقال مجاهد: (رجال كانوا يقومون إلى نواضحهم، وإلى السفر؛ يبتغون التجارة)[4].

وعن جعفر بن محمد، عن أبيه قال: (كان النبي ﷺ

---

(١) البخاري (٩٤٦) مسلم (٨٦٣).
(٢) جامع البيان ٢٢/ ٦٤٥.
(٣) جامع البيان ٢٢/ ٦٤٨.
(٤) جامع البيان ٢٢/ ٦٤٦.

يخطب يوم الجمعة وكانت لهم سوق يقال لها البطحاء، كانت بنو سليم يجلبون إليها الخيل والإبل والغنم والسمن، فقدِموا فخرج إليهم الناس وتركوا رسول الله ﷺ، وكان لهم لهوٌ؛ إذا تزوج أحدهم من الأنصار ضربوا بالكبَر، فعيَّرهم الله بذلك)[1].

فالروايات تتحدث عن واقعة مذمومة، وهي انفضاض بعض المؤمنين إلى صارف من صوارف الدنيا؛ بينما الخطبة قائمة والرسول ﷺ يخطب، وربما ذلك كان بسبب الجوع والفاقة مما جعلهم يسرعون إليها، إلا عددًا من أصحاب النبي ﷺ.

فنزلت الآيات موجهة للمؤمنين ومعلمة لهم بأن ذلك المجلس وتلك الساعة التي يقف فيها الإمام خطيباً يجب تعظيمها، والعمل بما يليق بها، من أدب وإنصات ورباط، وأن كل ما يشوش على ذلك فهو من العمل المكروه عند الله، فاستجاب القوم رضي الله عنهم وتعلموا أدب الجمعة، وتعلمت الأمة من بعدهم ألا تنشغل عن تلك الساعة بشاغل مهما زُين لهم.

---

(١) مسند الشافعي ص٦٥.

دواعي الانصراف

الانشغال عن صلاة الجمعة وخطبتها له أسبابه التي قد تختلف من إنسان لآخر، والانشغال عن «الخير» الذي جعله الله تعالى في أعمال يوم الجمعة له أسبابه كذلك، لكن يمكننا حصر رؤوس هذه الأسباب إلى ثلاثة نقاط، أشارت إليها الآية:

۞ الأولى: جاذبية السوق.

حيث الصفق والبيع والشراء، وحيث استجلاب الطعام والشراب واللباس والفراش والأثاث، وحيث التكسب والاستزادة من المال والتوسع في المبيعات وتكوين رأس مال متين، وحيث الفرص التجارية وبناء المشروعات وإمكانية توفير مختلف مصادر الدخل.

وسواء كان هذا السوق واقعيًا يجتمع الناس فيه بأبدانهم ويسيرون إليه بخطاهم، أو كان افتراضيًا تقنيًا يتم

فيه البيع والشراء والتداول عبر الأجهزة الإلكترونية.

وسواء كان السوق حقيقيًا عبر محلات تجارية وأدوات بيع وشراء تقنية، أو كان مجازيًا عبر أي عمل يجلب الكسب المادي ويدر على صاحبه المال، كبعض الوظائف والمهن والأعمال، واقعية أو إلكترونية.

إنَّ للسوق جاذبية ولمعانًا، وإنها لتكاد تجذب إليها أهل الإسلام؛ لولا رسوخ الإيمان لدى بعضهم، وقوة اليقين بموعود الله تعالى؛ فإن «ما عند الله خير من اللهو والتجارة». والذين يرون «خير» الجمعة إيمانًا منهم بالله وكتابه؛ لا يلتفتون إلى بريق السوق الأخاذ، ويشعرون أنه فخٌ شيطاني، من يقع فيه تفوته المكاسب الأخروية العليا.

۞ الثانية: سلطان اللهو والترفيه.

لقد نصت الآية على انصراف البعض للَّهو، فمن طبيعة النفس حب اللهو والانفلات من قيود المسؤولية وحب ترفيه النفس وتدليلها، والشريعة لم تكبت هذا الدافع في الإنسان، ولكنها هذبته، وجعلت له طرقًا ومنافذ، ثم هي منعته من اللهو إذا دخل في جو العبادات،

ومنها صلاة الجمعة وخطبتها، عن أبي هريرة ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم أتى الجمعة فاستمع وأنصت غفر له ما بينه وبين الجمعة وزيادة ثلاثة أيام، ومن مس الحصى فقد لغا»[1].

فكيف بمن يتشاغل بما هو أكبر!

ومن تحديات هذا العصر: التعامل مع الجوال في المسجد. وضبط ذلك وإدارته بطريقة صحية يعد مظهرًا من مظاهر التقوى وتعظيم الشعائر، قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمۡ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقۡوَى ٱلۡقُلُوبِ﴾ [الحج:٣٢].

والشيطان قاعد في طريق المؤمن، يسعى في فتنته وإغوائه عن أبواب الخير، وقد سلّط أتباعه وجنوده وأولياءه في إفساد ليلة الجمعة، عبر مؤسسات اللهو وإعلامه، حتى يفسد نهار الجمعة على أهل الإيمان، ثم صنع فينا عرفًا مشئومًا، وهي أن أكثر المناسبات الاجتماعية شغلًا وجهدًا وسهرًا تكون في ليلة الجمعة، وكأن يوم الجمعة يوم نوم وراحة! فواعجبًا كيف أطعناه

(١) مسلم (٨٥٧).

وسرنا في ركابه؟

والذين يستجيبون لنداءات النفس وأهوائها من أجل إشباع نزواتهم وغفلتهم ولهوهم ليسوا أهلًا لتلك الفضائل والكرامة الممنوحة لأهل الجمعة. فاللهم أصلح حالنا وحال مجتمعاتنا، واقصر شر المفسدين الذين يفسدون على الناس شعائر الله.

۞ الثالثة: الإرادة الضعيفة.

والإرادة هي ميل النفس إلى جلب ما ينفعها ودفع ما يضرها[1]. فهي قوة في القلب تدفع الفرد إلى ما يقوم به من حركة وسلوك، فإذا قويت ظهرت قوتها في الالتزام بالشيء والمبادرة إليه وتحمل العناء والمشقة في سبيله، وإذا ضعفت ظهر ضعفها في الكسل الذي استعاذ منه نبينا ﷺ كما في حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من العجز والكسل»[2]. وكذلك يظهر في التراخي والتسويف،

(١) الصواعق المرسلة ١/ ٢٢٣.

(٢) البخاري (٢٨٢٣) مسلم (٢٧٠٦).

والتأوُّل الكاذب الذي لا يستند إلى دليل قوي. وهذه الإرادة (لا صلاح للعبد ولا فلاح إلا بأن تكون هي المستولية على قلبه)[1].

فترك الإنصات للإمام والاشتغال عن صلاة الجمعة والكسل عن التبكير إليها والسعي إليها والاهتمام بها: ضعف في إرادة المرء، قال السعدي: (الكسل هو أصل الخيبة والفشل، فالكسلان لا يدرك خيرًا، ولا ينال مكرمة، ولا يحظى بدين ولا دنيا)[2].

وترك المواطن الجادة لأجل مكسب دنيوي أو ساعة استئناس: ضعف في الإرادة.

والإسلام يكره النفوس الرخوة التي لا تتحمل ساعات الجدية، لأنها لا تكون قادرة على حمل الإسلام في محنته وشدته، ولأنها لا تعرف حقيقة الآخرة وما أعد الله فيها للعاملين.

وأنت تلاحظ مجيء سورة الجمعة في ترتيبها في

---

(١) الداء والدواء ص٣٦٢.

(٢) بهجة قلوب الأبرار ص٣٤.

المصحف بعد سورة الصف، وبينهما من التشابه ما بينهما لمن تأمل وتدبر، ومن ذلك أن لكل من السورتين: جماعة وصفٌّ وإمام، فمن ضيع صف الجمعة وانشغل عن فضائلها باللهو والتجارة وتكاسل عنها ورغب عنها؛ لم يكن قادرًا على الانتظام في صف القتال في سبيل الله تعالى، ولا أن يكون لبنة قوة في ذلك البنيان المرصوص، وإن الأمة لا تنتفع به في ميادين فِعل الخير وفروض الكفايات إلا من رحم الله. أما الاجتهاد في الجمعة فهو مفضٍ إلى الظفر في القتال، وأهل الجمعات هم أهل فعل الخير وهم القادرون على القيام بفروض الكفايات في الأمة، والتي من شأنها إعلاء دين الله وكلمته، وهذا الإمام الكبير والمقرئ العابد المشهور «عاصم بن أبي النجود» صاحب القراءة السبعية؛ قال عنه أبو بكر بن عياش: (كان عاصم إذا صلى ينتصب كأنه عود، وكان يكون يوم الجمعة في المسجد إلى العصر، وكان عابدًا خيرًا، يصلي أبدًا، ربما أتى حاجة، فإذا رأى مسجدًا قال: مِلْ بنا، فإن حاجتنا لا تفوت. ثم يدخل فيصلي)[1]. وأحوال السلف

(١) سير أعلام النبلاء ٥/ ٢٥٩.

في هذا كثيرة، إن هذه النفوس التي تكبح جماح نفسها هي المؤهلة لحمل الرسالة، والله أعلم.

۞ ۞ ۞

تجارة خاسـرة

من المناسبات المتعلقة بسورة الجمعة مجيء سورة «المنافقون» بعدها، السورة التي تحدثت عن المنافقين، ثم هي قد ختمت بتحذير المؤمنين من الالتهاء بالأموال والأولاد عن ذكر الله؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ [المنافقون:٩]. ففي سورة الجمعة جاء الأمر بالسعي إلى ذكر الله وترك ما عداه، وفي سورة «المنافقون» جاء التأكيد على أن الالتهاء عن ذكر الله يجعل الإنسان خاسرًا.

والإعراض عن ذكر الله والكسل في إقامة الصلوات من صفات المنافقين، أعاذني الله وإياكم، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمۡ وَإِذَا قَامُوٓاْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُواْ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [النساء:١٤٢].

ومن الخسارة التي تلحق المنافقين الملتهين عن ذكر الله، ما ذكره الله تعالى في حقهم: ﴿فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُمْ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَٰفِرُونَ ﴾ [التوبة:٥٥].

إن المعاني الكبرى في نفس الإنسان لا تتم قبل أن يلزم نفسه بالمسجد والتبكير إليه ومراعاة حدود الصلاة، ولذلك أثنى الله تعالى على هذا الصنف من الناس وسماهم رجالًا، قال تعالى: ﴿فِى بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ يُسَبِّحُ لَهُۥ فِيهَا بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴿٣٦﴾ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ تِجَٰرَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ ۙ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلْقُلُوبُ وَٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٣٧﴾ لِيَجْزِيَهُمُ ٱللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [النور:٣٦-٣٨].

إن مشكلة الانشغال يوم الجمعة عن السعي إلى ذكر الله، مشكلة ناقشها القرآن، وينبغي أن نناقشها نحن كذلك، سواءً كان الانشغال بالشهوات أو بالمصالح الدنيوية، وأنت واجد بعض العلماء حين يتطرق لآيات الجمعة بالشرح والتفسير لا يكتفي بذلك، فتجده يعظك ويوصيك بالمبادرة

والإقبال على الطاعة، كما فعل السعدي في تعقيبه هنا، فقال: (ينبغي للعبد المقبل على عبادة الله، وقت دواعي النفس لحضور اللهو والتجارات والشهوات، أن يذكِّرها بما عند الله من الخيرات، وما لمؤثرٍ رضاه على هواه)[1].

فيذكرها باليوم الآخر، وبالفضل العظيم، وبالأجور المتكاثرة، وأنه لن يفوتنا شيء يذكر حين نتخلف عن هذه الفضائل، فإن ﴿مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيۡرٞ مِّنَ ٱللَّهۡوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ﴾ [الجمعة: ١١].

ويذكرها بما أعده الله لمن يقدم محاب الله تعالى على محاب نفسه ورضاها، وهذه الخصلة هي مكوِّن من مكونات استقامة القلب التي ينشدها كل مسلم، قال ابن القيم: (استقامة القلب بشيئين: أحدهما أن تكون محبة الله تعالى تتقدم عنده على جميع المحاب، فإذا تعارض حب الله تعالى وحب غيره سبق حب الله تعالى حب ما سواه، فرتب على ذلك مقتضاه. وما أسهل هذا بالدعوى، وما أصعبه بالفعل! فعند الامتحان يكرم المرء أو يهان.

وما أكثر ما يقدم العبد ما يحبه هو ويهواه، أو يحبه

---

(١) تيسير الكريم الرحمن ٤/ ١٨٣١.

كبيره أو أميره أو شيخه أو أهله على ما يحبه الله تعالى، فهذا لم تتقدم محبة الله تعالى في قلبه جميع المحاب، ولا كانت هي الحاكمة عليها المؤمَّرة عليها، وسنة الله تعالى فيمن هذا شأنه أن ينكد عليه محابه وينغصها عليه، فلا ينال شيئًا منها إلا بنكد وتنغيص، جزاء له على إيثاره هواه وهوى من يعظمه من الخلق أو يحبه على محبة الله تعالى.

وقد قضى الله ﷻ قضاء لا يرد ولا يدفع، أن من أحب شيئًا سواه عذب به ولا بد، وأن من خاف غيره سُلط عليه، وأن من اشتغل بشيء غيره كان شؤمًا عليه، ومن آثر غيره عليه لم يبارَك له فيه، ومن أرضى غيره بسخطه أسخطه عليه ولابد)[1].

هذه التجارة الخاسرة والمصالح المتوهمة هي ما يخدعنا الشيطان دائمًا بأننا الرابحون إذا سلكنا طريقها، وحقيقة الأمر نص عليها القرآن في جملة وجيزة صريحة، واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، وهي قوله تعالى: ﴿ قُلْ مَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ ٱللَّهْوِ وَمِنَ ٱلتِّجَٰرَةِ ۚ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴾ [الجمعة: ١١].

(١) الوابل الصيب ص١٤.

خاتمـة

بعد هذا التطواف الوجيز في المعاني العظيمة ليوم الجمعة وفضائله الجليلة، لا أجد ما أختم به سوى التأكيد بأن يوم الجمعة هو يوم الفرد ويوم الأمة، فإذا أصلح الأفراد جمعتهم أصلح الله أحوال أمتهم، لقد نطقت بذلك المباحث التي تعرضنا لها في هذا الكتاب.

وكذلك الوصية لكم يا شباب الإسلام بأن تحيوا هذه الفريضة حق الإحياء، وأن تعظموا هذه الشعيرة حق التعظيم، وستجنون ثمرتها في دنياكم وأخراكم بإذن المولى الكريم، كما نطقت النصوص بذلك. ولا يخدعنكم الشيطان بألاعيبه ومقاييسه واختياراته.

في صبيحة الجمعة.. انزعوا أجسادكم من الفرش، اختلسوا قلوبكم من الدنيا، واستعيدوا البوصلة.

في صبيحة الجمعة.. تولدون من جديد، فتنهض أمتكم من جديد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد

وعلى آله وأزواجه وأصحابه الطيبين

وجعلنا ممن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين

۞ ۞ ۞

المراجع

- **الأحاديث الواردة في قراءة سورة الكهف يوم الجمعة**، عبد الله الفوزان، دار ابن الجوزي، ط١، ١٤٣١هـ.
- **اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم**، ابن تيمية، ت: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، ط٧، ١٤١٩هـ.
- **الأم**، الشافعي، دار الفكر، ط٢، ١٤٠٣هـ.
- **الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف**، أبو الحسن المرداوي، ت: محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، ط١، ١٣٧٤هـ.
- **بهجة قلوب الأبرار**، عبد الرحمن السعدي، ت: عبد الكريم بن رسمي الدريني، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٢٢هـ.
- **تاريخ الإسلام**، شمس الدين الذهبي، ت: د. بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١، ١٤٢٤هـ.
- **التعليق على صحيح مسلم**، ابن عثيمين، مكتبة الرشد، ط١، ١٤٣٥هـ.

◈ **التفسير البسيط**، أبو الحسن الواحدي، عمادة البحث العلمي، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط١، ١٤٣٠هـ.

◈ **تفسير القرآن العظيم**، ابن كثير، ت: أبو إسحاق الحويني وأد. حكمت بشير ياسين، دار ابن الجوزي، ط٢، ١٤٤٠هـ.

◈ **تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان**، عبد الرحمن السعدي، اعتناء: سعد بن فواز الصميل، دار ابن الجوزي، ط٤، ١٤٣٥هـ.

◈ **جامع البيان عن تأويل القرآن**، ابن جرير الطبري، ت: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر، ط١، ١٤٢٢هـ.

◈ **جلاء الأفهام في فضل الصلاة والسلام على خير الأنام**، ابن قيم الجوزية، ت: زائد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم، ط٥، ١٤٤٠هـ.

◈ **حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح**، ابن قيم الجوزية، ت: زائد بن أحمد النشيري، دار عطاءات العلم، ط٤، ١٤٤٠هـ.

◈ **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء**، أبو نعيم الأصبهاني، مطبعة السعادة، ١٣٩٤هـ.

- **الداء والدواء،** ابن قيم الجوزية، ت: محمد أجمل الإصلاحي، دار عطاءات العلم، ط٤، ١٤٤٠هـ.
- **رؤية الله،** أبو الحسن الدارقطني، ت: إبراهيم محمد العلي، أحمد فخري الرفاعي، مكتبة المنار، ١٤١١هـ.
- **الروضتين في أخبار الدولتين،** أبو شامة المقدسي، ت: إبراهيم الزيبق، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤١٨هـ.
- **زاد المسير في علم التفسير،** أبو الفرج ابن الجوزي، ت: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، ط١، ١٤٢٢هـ.
- **زاد المعاد في هدي خير العباد،** ابن قيم الجوزية، دار عطاءات العلم، ت: محمد أجمل الإصلاحي وآخرون، ط٣، ١٤٤٠هـ.
- **سلسلة الأحاديث الصحيحة،** الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ١٤١٥هـ.
- **سلسلة الأحاديث الضعيفة،** الألباني، مكتبة المعارف، ١٤١٢هـ.
- **سنن الترمذي،** ت: أحمد محمد شاكر، مكتبة الحلبي، ط٢، ١٣٩٥هـ.
- **سنن أبي داود،** ت: عصام موسى هادي، دار الصديق للنشر، ط٢، ١٤٤٢هـ.

- **سنن سعيد بن منصور، ت:** د. سعد بن عبد الله آل حميد، دار الصميعي، ط١، ١٤١٧هـ.
- **سنن ابن ماجه،** ت: الشيخ خليل مأمون شيحا، دار المعرفة، ط١، ١٤١٦هـ.
- **سنن النسائي،** ت: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية، ط٢، ١٤٠٦هـ.
- **سير أعلام النبلاء،** شمس الدين الذهبي، ت: مجموعة من المحققين، دار الرسالة، ط٣، ١٤٠٥هـ.
- **سيرة رسول الله ﷺ،** ابن هشام، ت: همام عبد الرحيم سعيد وعادل مرشد المقدسي، دار الفاروق، ط١، ١٤٤٣هـ.
- **صحيح البخاري،** دار التأصيل، ط٣، ١٤٣٨هـ.
- **صحيح الترغيب والترهيب للمنذري،** محمد ناصر الدين الألباني، مكتبة المعارف، ط١، ١٤٢١هـ.
- **صحيح الجامع الصغير وزيادته،** محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي.
- **صحيح مسلم،** عناية محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي.
- **الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة،** ابن قيم الجوزية، ت: حسين بن عكاشة بن رمضان، دار عطاءات العلم، ط١، ١٤٤٢هـ.

- **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، السمين الحلبي، ت: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١٧هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن حجر العسقلاني، ت: محب الدين الخطيب، المكتبة السلفية، ط١، ١٣٨٠هـ.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري**، ابن رجب الحنبلي، ت: محمود بن شعبان وآخرون، مكتبة الغرباء الثرية، ط١، ١٤١٧هـ.
- **فتح ذي الجلال والإكرام بشرح بلوغ المرام**، محمد ابن عثيمين، ت: صبحي بن محمد رمضان، أم إسراء بنت عرفة بيومي، المكتبة الإسلامية، ط١، ١٤٢٧هـ.
- **فتح المغيث بشرح ألفية الحديث**، شمس الدين السخاوي، ت: علي حسين علي، مكتبة السنة، ط١، ١٤٢٤هـ.
- **قوت القلوب**، أبو طالب المكي، ت: د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤٢٦هـ.
- **الكاشف عن حقائق السنن**، شرف الدين الطيبي، ت: د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، ط١، ١٤١٧هـ.

◈ **لسان العرب**، ابن منظور، دار صادر، ط٣، ١٤١٤هـ.
◈ **اللقاء الشهري**، محمد ابن عثيمين، دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
◈ **مجموع فتاوى ومقالات متنوعة**، ابن باز، جمع: د. محمد بن سعد الشويعر، رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية.
◈ **مجموع الفتاوى**، ابن تيمية، جمعه: ابن قاسم النجدي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ١٤٢٥هـ.
◈ **المجموع شرح المهذب**، محيي الدين النووي، مطبعة التضامن الأخوي، ١٣٤٤هـ.
◈ **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، ابن عطية، ت: مجموعة من الباحثين، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بقطر، ط١، ١٤٣٦هـ.
◈ **المستدرك على الصحيحين**، أبو عبد الله الحاكم النيسابوري، ت: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، ط١، ١٤١١هـ.
◈ **مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح**، أبو الحسن علي الملا القاري، دار الفكر، ط١، ١٤٢٢هـ.
◈ **مسند أحمد بن حنبل**، ت: شعيب الأرناؤوط وآخرون، مؤسسة الرسالة، ط١، ١٤٢١هـ.

- **مسند البزار**، ت: محفوظ الرحمن زين الله وآخرون، مكتبة العلوم والحكم، ط١، ١٩٨٨م.
- **مسند الشافعي**، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ.
- **معالم السنن**، أبو سليمان الخطابي، ط١، ١٣٥١هـ.
- **المعجم الكبير**، أبو القاسم الطبراني، ت: حمدي بن عبد المجيد السلفي، مكتبة ابن تيمية، ط٢.
- **المغني**، ابن قدامة المقدسي، ت: عبد الله التركي وعبد الفتاح الحلو، دار هجر، ط٢، ١٤١٢هـ.
- **المفاتيح في شرح المصابيح**، الحسين المُظهري، ت: نور الدين طالب وآخرون، دار النوادر، ط١، ١٤٣٣هـ.
- **المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج**، محيي الدين النووي، دار إحياء التراث العربي، ط٢، ١٣٩٢هـ.
- **موسوعة التفسير المأثور**، مركز الدراسات والمعلومات القرآنية بمعهد الإمام الشاطبي، دار ابن حزم، ط٢، ١٤٤٠هـ.
- **الوابل الصيب ورافع الكلم الطيب**، ابن قيم الجوزية، ت: عبد الرحمن بن حسن قائد، دار عطاءات العلم، ط٥، ١٤٤٠هـ.

